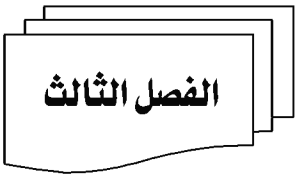

ضغوط اللغة الإنكليزية على العربية

كان الإسلام يشتري قبل أن تملك المسيحية البيع في نيجيريا، وكانت اللغة العربية تستقي قبل أن تحفر فيها الإنكليزية المنبع. ولقد كان الإسلام في هذه الديار جسدًا ناضجًا متحركًا سليمًا منذ القرن الرابع عشر، وكان يدخل بنوره كل دار أو قرية تلبّت لدعوته بدون ضغط أو إجبار.

وهكذا سار الإسلام بين صعود وهبوط، وبين نموّ وتدهور، حيث كان البعض يتهاونون بالإسلام ويخلطون إيمانهم بظلم. وهكذا كانوا في العَمَه حتى أخرج الله من يجدد له دينه في القرن الثامن عشر ١٧٥٤م، وهو الشيخ عثمان بن فودي المناضل الإسلامي، المجدد الأكبر في غرب إفريقيا. فهو الذي جرّد حرباء المنافقين من المسلمين من التلوُّن، وصوَّبهم على الحق بالسيف، والفم، والقلم؛ وقضى حياته في الجهاد، والفتوحات، والهجرات الإسلامية اقتداء بالرسول الأعظم ﷺ إلى أن أتاه اليقين سنة ١٨١٧م بسَوْكَوْتَوْ، المدينة التي بناها ابنه محمد بللو ١٨١٥م*، وهو في سن الثلاث والستين، العمر الذي عاشه المصطفى ﷺ. ومات الشيخ وقد ترك دولته دولة إسلامية بحتة، وكانت اللغة الرسمية فيها هي العربية التي يخضع لها جميع اللغات النيجيرية. وقد انتقل إلى رحمة ربه وأخلف ابنه محمد بللو وأخاه عبد الله لإدارة الأمور من بعده.

* آدم عبد الله الألوري: نسيم الصبا في تاريخ الإسلام وعلماء بلاد يوربا، المرجع السابق، ص ٨٩.

وما زال محمد بللو وعبد الله في توسيع الدولة الإسلامية إلى شرق وغرب نيجيريا منذ سنة ١٨١٣م قبل وفاة الشيخ. وما زال محمد بن الحاج عُمصو الذي هو عربي يرشد الناس ويدرس أبناء الملك وأقاربه القرآن والعلوم الدينية في قصر ألافِنْ في مدينة أوْيَوْ في بلاد يوربا في ذلك الوقت أيضًا، حتى جاءهم الشيخ صالح بن محمد بن جَنْتَا المشهور بالعالم، الذي طاف بأطراف بلاد يوربا بالوعظ، والتعليم، والإرشاد؛ والذي ألقى عصا ترحاله أخيرًا في مدينة إلَوْرنْ وبنى فيها دولته الإسلامية، وذلك كله قبل عام ١٧٩٧م ۞ وبعده، وسار الأمر كذلك حتى أرسل الإنكليز طامته الكبرى إلى البلاد، فجعلت عاليها سافلها تحت حكم الاستعمار البريطاني.

ضغطت الإنكليزية كابوسها على اللغة العربية منذ دخول حركة التبشير في نيجيريا ١٨٤١م، وشدّ أزر التبشير الاستعمارُ الذي يلقي السلاسل والاستعمار على الخلائق، وقبضت فخاخهما على أرجل السماسرة من المنافقين. فصار الناس في شبكة أعداء الإسلام الذين كانوا ولا يزالون يحاولون تجريد الناس عن الإسلام، كما كانوا يحاولون إلجام أفهاه المسلمين من التلهيج بالعربية، واتخاذ دينهم وعقيدتهم ولغتهم بديلة للإسلام، ولغته للشعب النيجيري.

۞ تي، جي، أوْ، بدماص: نمو الإسلام بين اليوربا، مرجع سبق ذكره، ص ٧ و١٩.

- دواعـي الضغط

قد أشرنا آنفًا إلى أن المبشرين والمستعمرين كانوا قد نزلوا في نيجيريا لأغراض مختلفة، منها التجارة التي هي الغرض الأول الأجلّ. فاتصلوا لتحقيق تلك الأمنية بملك بِنِينْ منذ سنة ١٤٨٥م، فاستمرَّت بينهما التجارة مدة طويلة إلى أن طوت الأيام حركة الطرفين؛ وكان من أغراضهم أيضًا التبشير، فقد باض التجار الأوائل بيضته على بساط ملك بِنِينْ، حينما اقترحوا عليه تلقينهم أبناءه شيئًا من التعليم، فقد وافقهم الملك، وتناول أبناؤه وأبناء حواشيه من بيضة التبشير من ذلك الوقت، حتى حملوا قشورها إلى بلاد إيبو سنة ١٥٢٠م، وظل بها يدسّون عليها إلى أن غابت آثارها في تجارة الرقيق.

ثم كان غرضهم الأخير الاستعمار، وذلك منذ سنة ١٥٥٣م، ومن بعد إلغاء تجارة الرقيق. وعضّوا على الاستعمار بالنواجذ منذ وصول التبشير إلى بَدَاغِري ١٨٤١م، ومنذ تمكن تدخُّلهم في النزاع الناشئ بين أَكِنْطوْيَيْ وكَوْسَوْكَوْ على السلطة في لاغوس ١٨٤٥م، فانتهزوا هذه الفرصة لوضع طاغيتهم على رأس الملك كَوْسَوْكَوْ الذي كان مسلمًا ومن معه. فنصروا أَكِنْطوْيَيْ المسيحي على كَوْسَوْكَوْ، فرجع المنصور إلى العرش، فصار الناصرون يتبوّأون في الأرض حيث يشاؤون. وهذه هي الأغراض الأساسية الثلاثة التي أخرجت الإفرنج من بلادهم، ثم

انفجر من هذه الأغراض التعلم والتعليم، ليكون لهم النجاح الفائق في تحقيق هذه الأغراض.

كان من الحقائق الثابتة أنه لا يكون النجاح الفائق في تجارة بدون فهم البائع لسان المشتري، كما أنه لا يمكن التبشير بلغة أجنبية لا يفهمها الشعب المخاطب، كما أنه أيضًا لا يتحقق النجاح السريع الباهر للاستعمار في بلاد بدون التفاهم اللغوي بين المستعمِر والمستعمَر.

حينما أراد الله ابتلاء قارة إفريقيا بحركة التبشير والاستعمار برمّتها، أحدث ما يقال بتجارة الرقيق الناشئة إثر اكتشاف أمريكا، فبدأ يجلب البيضان السودان إلى بلادهم، خصوصًا إلى أمريكا لاستخدامهم في الأعمال الشاقة كالزراعة، والصناعة. وكانوا قد علَّموهم الكتابة والقراءة، بالإضافة إلى ألسنتهم من الإنكليزية، والفرنسية، والتركية، ونحوها التي قد اقتطفوها مجانًا عن المسيحية التي قد اعتنقها بعضهم من هذا المهجر بدون كلفة أو إجبار، مع ما لهم من الثقافة الباهرة التي قد اغتنموها وأزالت ما بعيونهم من قذى الجهل والتردّد، فصاروا علماء في ميادينهم، متثقفين بأفكارهم، لا يرون الفضل بين البيض والسود إلا اللون والتقدم بالثقافة.

لم ينجح التجار والمبشرون الأوائل بنصيب فائق في حرفتهم، إذ كان كل ما مارسوه فيما بينهم وبين أهل نيجيريا وقتئذ كان

شبه محاولة التحدث بين الأبكم والأصم. لذلك حاول البرتغاليون الأولون تعليم أبناء ملك بينِنْ وحواشيه، كي يتيسر لهم الاتصال المباشر مع أهل البلاد في وقت وجيز بعد بداية هذا التعليم، فذرت بهذه المحاولة رياح تجارة الرقيق، ولم يبق في نيجيريا بعد ذلك إلا التعليم العربي الإسلامي.

ولما أُلْغِيت تجارة الرقيق سنة ١٧٧٢م، أخذت بريطانيا الإعلان بتلك التجارة وسيلة للتدخل في شؤون نيجيريا، بل في شؤون إفريقيا عامة باسم القضاء على تجارة الرقيق، وكان ذلك بدء الاستعمار البريطاني لهذه البلاد ۞.

لم يجد المستعمرون والمبشرون أفضل معين في تحقيق أغراضهم لوضع كابوسهم على هذه البلاد إلا المتحرّرين من أبناء البلاد إثر إلغاء تجارة الرقيق. وقد علمنا أنهم قد نزلوا بهؤلاء إلى سيراليون وأسسوا لهم به مدينة فِريتَاوُنْ بخمسة عشر ألف عبد، يعلّم أكثرَهم التبشيرُ الدعوة إلى المسيحية في كلية فوْرَابَيْ، فتخرَّج منها الأساقفة، يقومون بالدعوة النصرانية.

وينمو إلى علمنا أن الدفعة الأولى من المتحررين الذين نزلوا نيجيريا من أبناء يوربا ١٨٤٠م كانوا مسلمين، وهم الذين كانوا بمثابة الترياق للبلاد من سموم الإنكليز، وهم الذين قد سبقوا في إفشاء أسرار الإفرنج لأهل البلاد، كي يحترزوا من

۞ راجع الفصل الأول تحت قبيلة يوربا والمسيحية.

الوقوع في شبكتهم قبل وصول أنصارهم المطارنة {الأساقفة} من أبناء نيجيريا إلى هذه الديار.

ولما بدأ هؤلاء المطارنة يتوافدون إلى هذه البلاد من سنة ١٨٤١م، وكانوا تحت قيود ساداتهم ورؤسائهم المبشرين المستعمرين، وكانوا قد فهموا لسانهم الإنكليزي، واستسلموا لعقائدهم المسيحية، صاروا كلابًا يسلّطونهم على أهل البلاد، فبدأوا يتسمسرون بين الإنكليز وبين بني جلدهم لتحقيق أغراض هؤلاء الغرباء الذين لا يتفاهمون مع أهل البلاد.

ومن هنا بدأت قلوب الإنكليز ترقص في مهد سبل النجاح لتحقيق أغراضهم التي هي التجارة، والبشارة، والاستعمار؛ بواسطة أبناء البلاد الذين كانوا يفهمون لسانهم وعقيدتهم. فشرعوا في ذلك بإنشاء المدارس لنشر لغتهم حتى يتمكنوا من مخاطبة عدد كبير من الناس في التجارة أولاً، وحتى يتمكنوا من وجود جمّ غفير ممن يستخدمونهم في سلك الإدارة تحت إمارة الاستعمار ثانيًا، وحتى يتمكن الشعب من فهم الإنكليزيين بأنفسهم في ميدان التبشير أخيرًا؛ وإن كانوا قد سلطوا عليهم كلابهم من أنفسهم، يلهثون على أهل البلاد للانسلاخ من عقيدتهم الإسلامية، ويستبدلونها بالعقيدة النصرانية.

ولقد كان الدافع الأساسي الذي حمل الإفرنج على الضغط على غرب إفريقيا من أواخر القرن الخامس عشر هو اكتشافهم

أمريكا ١٤٩٢م ۞ حيث وجدوها خصبة أرض لهم يأكلون من خيراتها، فلقنوا من هم يحملونهم إلى العالم الجديد ألسنتهم وخاصة الإنكليزية، كما كانوا يستخدمونهم فيه في أنصب الأعمال، لذلك اشتعلت عيونهم شررًا في التكالب على غرب إفريقيا، فصاروا كتلة اكتشافية على شواطئ بحار البلاد لإيجاد مستعمرات جديدة وإنشاء سوق دوليّة بها.

وفي كل ما تقدم، عرفنا أن حركة التبشير والاستعمار في ميدان التجارة والبشارة من فجر دخولهم في هذه البقعة كانت مقتصرة، لا لشيء بل لعدم التفاهم بينهم وبين أهل البلاد. ولما شاء الله تأييدهم لتحقيق أمنيتهم، مهّد لهم سبل تجارة الرقيق فبدأوا يجلبون أبناءنا إلى بلادهم يلعقونهم عقائدهم وألسنتهم فتحرروا أخيرًا؛ وجاءوا يتذبذبون بين الإفرنج وأهل البلاد. وهذا الأمر كان الساعد الأول الأعلى رتبة لوقوع غرب إفريقيا تحت طآمّة الإفرنج، سواء كانت في ذلك بلاد استعمرها فرنسا أو الإنكليز، ولا يتم وضع هذه الطامة عليها إلا بواسطة المتحررين من الإفرنج الناشئ من تجارة الرقيق التي ضغطت كابوسها على البلاد الإفريقية.

ومن الحقائق التي لا يتجادل فيها اثنان، هو أن الإسلام بعل الأديان السماوية في القارة الإفريقية، كما أن اللغة العربية

۞ آدم عبد الله الألوري: نسيم الصبا، ص ١٦٨.

كانت منذ أمد بعيد هي اللغة التي تستعمل رسميًا في شمال وغرب إفريقيا. فقد انتشر الإسلام حقًا في أول الأمر في شمال إفريقيا بواسطة الفتوحات، وغلغل غرب إفريقيا مع لغته منذ وقت متوغّل بدون سلاح أو إجبار، وظل يطوف بهذه البلاد مع لغته بسلام حتى وقت الجهاد العثماني الفودوي، الذي صيّر الجزء الأكبر من نيجيريا، وجزءًا قليلاً من الجمهورية البينوية، والكاميرون، والنيجر، دولة إسلامية بحتة؛ كانت لغتها الرسمية العربية. ولما جاءت فتنة الإفرنج، وأرسلوا طآمّتهم الكبرى بالعِناد والعَتاد إلى البلاد، حاولوا الضغط على الإسلام واللغة العربية بما عندهم من المسيحية واللغة الإنكليزية، ومن هنا بدأ الصراع المرير بين الإسلام والمسيحية وبين اللغة العربية والإنكليزية في نيجيريا.

هذا، ومع أن في الاستعمار البريطاني الأثر السلبي للدين الإسلامي ولغته في هذه البلاد، فقد كانت له الناحية الإيجابية من حيث الثقافة، والنمو، والتطور في الحياة؛ ولقد اقتضت الحكمة الطبيعية للحياة أن تكون مصائب قوم سعادة آخرين، وسموم قوم ترياق غيرهم. قال الشاعر:

وإن قد أبيتم قد أفدت لغيركم مصائب قوم عند قوم فوائد

ويقول اليوربا في إثبات هذا المعنى قولهم بتعبير الشيخ آدم عبد الله الألوري: "ومن أغمض العينين فرارًا من رؤية الأشرار، فإنما تفوته رؤية الأبرار من حيث لا يدري".

وأنا أقول ذلك نظمًا:

ومن أغمض العينين من سوء رؤية ... أضاع الخيار في مرور الأفاضل

الصراع بين العربية والإنكليزية في نيجيريا ۞

الصراع، كلمة مشهورة في صالة المسرحية والدراما، وهي تعني حركة متناقضة، تنجم من شخصين، أو شيئين، أو أكثر؛ فيتولد من هذه الحركة الصراع عند محاولة غلبة أحد الشخصين أو الشيئين على الآخر.

كانت اللغة العربية جسدًا دسيمًا متنفسًا يلعب دوره السلمي في نيجيريا منذ القرن الرابع عشر قبل أن تدقّ عليها الإنكليزية الباب بمطرقتها، فدخلت عليها تلهث وراءها لتفترسها وتجعلها ضحية عشائها.

دخلت اللغة العربية نيجيريا بدون سلاح أو رماح، فقد يتخذها لغة من اعتنق الإسلام عن طواعية ورضىً عن نفسه، وهكذا

۞ وهذا الموضوع هو سدرة المنتهى لهذا البحث، وفائدة الخبر لمضمونه، وبيت القصيد للعنوان الذي تحمله الرسالة.

انتشرت إلى أن جاء الشيخ عثمان بن فودي الذي بدأ يُقوِّم الناس بالتمسك بالإسلام، ويزيل من الإسلام ما ليس منه من التقاليد، ويجرّد المسلمين من الدخول في الكفر بعد الإيمان. وفي هذا الوقت فقط وجد الإسلام واللغة العربية أنصارًا في هذه الديار الذين عملوا في إصلاحهما وتطويرهما بالسيف، والفم، والقلم.

ولما دخلت الإنكليزية؛ أتت وفي يدها اليمنى حركة التبشير، وفي يدها اليسرى كابوس الاستعمار؛ وكان في يد التبشير المكر والخداعة، وفي يد الاستعمار العناد والرماح. فشرع الأخوان في الزرع والحصد في مكان واحد، فهبّوا يشترون قلوب الشعب بالتعليم والتثقيف، فهرع الشعب إلى صالة أفلام الإنكليزية، وقد خرجوا منها بعد الغزوة الفكرية يحاولون الاحتفار تحت أقدام المسلمين ولغتهم العربية. فشدّ المسلمون لهم الأزر، ووقفوا لهم لدى الباب، ومن هنا بدأ الصراع بين المسلمين والمسيحيين، وبين اللغة العربية والإنكليزية.

لولا جهاد الشيخ عثمان الذي قد سبق نزول الإفرنج الأخير في نيجيريا بأعوام، لزاد الطين في الأمر بلة، ولغاب أكثر المسلمين جنوبًا وشمالاً في نيجيريا في سحاب المسيحية، لأنه لولا هذا الجهاد لما كانت في نيجيريا دولة إسلامية قويّة تتناطح مع الحركة التبشيرية.

اللغة العربية لغة قوية غالبة على أكثر أخواتها مثل العبرانية، والسريانية، والأشورية، والحبشية في محيطها؛ ولما جاءت نيجيريا، لم تقدر أن تتغلب على لغات أهلها الأصلية إذ ليست هذه اللغات من فصيلتها. إلا أنها أثرت في هذه اللغات، فاستعارت منها ألفاظ العبادة أولاً، ثم تدرجت إلى استعارة ما يتعدى نطاق العبادة من المفردات العربية على نمط ما ناقشناه في ثنايا البحث .

واللغة الإنكليزية لغة الثقافة، وكانت أخت الفرنسية، واللاتينية، والألمانية، والبرتغالية في محيطها؛ وهي من حيث المولد والتجديد، لغة حديثة العهد، نالت حظّ التجديد سنة ١٤٥٠م. وهي لغة ليست غالبة من عنفوان تاريخها، بل هي مغلوبة بالألمانية، والرومانية، والإسكَنْدِنافِية، والنورمانية ممن أغاروا الإنكليزيين حين اسوداد وجوههم. ولما تفتحت عيونهم، وابيضت وجوههم، وتثقفت عقولهم من توالى الغارات، والغزوات، والقروح التي قد أصابتهم، وكتب الله لهم النصر في هذه الآونة؛ عمدوا إلى الانتقام للمصائب التي قد سبق أن أصابتهم من كل قارة، أو بلاد، أو قرى دخلوها. فقد دخلت لغتهم الإنكليزية هذه البلاد، ولم تستطع على القضاء على لغات أهلها

الأصلية لأنها ليست فصيلة منها ۞، ولكنها حاولت ولا تزال تحاول القضاء على شريكتها في القوة التي قد دخلت قبلها، والتي تتوارى في جلباب الدين الإسلامي، فاختلط تربها مع تبر الإسلام، فبدأتا تتناطحان وتتصارعان في ميادين شتّى في طول وعرض البلاد.

"واللغة إذا اختلطت بغيرها من اللغات، فإنها تعمل على الاحتفاظ بخصائصها وتنزع إلى حبّ البقاء والتغلب على غيرها من اللغات، شأنها في ذلك شأن الكائنات الحية الأخرى. ومن أجل ذلك تدخل اللغة في صراع ومنافسة مع غيرها، وهي في هذا الصراع وتلك المنافسة، تستخدم وسائل متعددة للقضاء على الأخرى، ويظل هذا الصراع مدة طويلة بعد احتكاك اللغتين، وتكون النتيجة؛ إما فوز إحدى اللغتين على الأخرى، وإما أن تعيش اللغتان معًا جنبًا إلى جنب " ۞۞.

ولقد ظلت اللغة الإنكليزية تتصارع مع اللغة العربية منذ أن دخلت نيجيريا بدون أن تغلب عليها، ولكنها مع ذلك نالت منها وأضرّتها لقوة أنصارها، وكانت الساح والميادين التي كانت

۞ تتغلب لغة على أخرى إذا كانتا من فصيلة واحدة، وكان الشعب الغالب أثقف من المغلوب أو أكثر منه عَدَدًا عند نزولهم عليهم عن طريق الفتوحات، أو الغزوات، أو الاستعمار. وأما إذا لم تكن اللغتان من فصيلة واحدة، ولم يكثر عدد النازح على المنزوح إليه، فإن لغتيهما تتصارعان وتعيشان معًا بدون أن تغلب إحْدَاهُما الأخرى. راجع مجلة المنهل: مجلة الآداب والعلوم والثقافة، العدد ٤٧٢، سنة ١٩٨٩م تحت صراع اللغات، ص ٦٢ للدكتور فتحي أنْوَرُ الدابوني.

۞۞ مجلة المنهل السابقة، ص ٦٢.

تتصارع فيها مع العربية واسعة، فسيحة، عديدة. منها مع ذكر البعض:

١. ساحة الدعوة والإرشاد.

٢. ساحة الاستعمار والاستجبار.

٣. ساحة التثقيف والتعليم.

٤. ساحة الإدارة والسياسة.

٥. ساحة الإذاعة والإعلام.

٦. ساحة الكتابة والتأليف.

وإليك بيان كل منها شذر مذر.

١. الصراع بين العربية والإنكليزية في نيجيريا في ساحة الدعوة و الإرشاد

قلنا غير مرَّة أن الإسلام دخل في نيجيريا عن طريق السلم، وبدأ يدعو الناس إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، ثم لحق بهذه الدعوة شيء من القتال بواسطة الجهاد العثماني الذي ثاره ضدّ الملوك الكفار في الشمال، وضد المرتدين من المسلمين، وضدّ المتهاونين المتهاورين من المسلمين أيضًا بإسلامهم، ولم يقدر الله وصول هذا الجهاد إلى بحبوحة بلاد يوربا حتى جاء النصراني بدعوته، فأدخل العنزان الرأس معًا في قربة واحدة.

ولو وصل الجهاد العثماني شواطئ البحر في بلاد يوربا، واستقرت بها الدولة الإسلامية القويّة مثل ما في بلاد هوسا قبل نزول الإفرنج، لشمر الأمر عن ساعدي المستعمرين، ولشنّ القتال المرير بين أهل الجنوب وبين المبشرين فوق ما شنّ بينهم وبين المستعمرين المبشرين في حرب أهَوْيَايَا {الكثيرة الغليان} الناشئة بين الملك كَوْسَوْكَوْ المسلم وبين أكِنْطوْيَيْ المسيحي التي نصر فيها المستعمرون المسيحي على المسلم.
فقام ضدهم اليوربا، فتشرنقوا بالجنود من بينهم ضد التبشير، ولكن قل لي، أين قيمة صياد الأفيال أمام صياد البشر !.

بدأت حركة التبشير تضجّ البلاد، فانتظم لدعوة التبشير المتبنُّون للمسيحية، وعلى رأسهم سَمْوَيْلَ أجَايي كِرَاوْثرْ، فغلغل هو ومن معه بضوء التبشير إلى المدن والقرى حيث كانوا يعانون صعوبات كثيرة مع الدعوة الإسلامية التي قد سبقت أن رسخت في قلوب المؤمنين، فكان سعيهم عند المؤمنين شبه الهباء المنثور.

المسيحية وحركتها في نيجيريا ذيل رأسها في أوروبا، بمعنى أن لحركة الدعوة التبشيرية في نيجيريا أعوانًا يغدقون ألبد الأموال لنشرها ولغرس محبتها في القلوب، فبدأوا إثر هذه الدعوات يفتحون المستشفيات والملاجئ. تلك الحركة التي جذبت العقول إلى الإصغاء إليهم، فوقع السقماء، والمرضى، والوثنيون، والفقراء من مسلمي الجنوب في حبائلهم. ثم ربوا هؤلاء تربيةً مغريةً بالغةً، وثقفوهم بالتعليم، وما إن انتهوا من دراساتهم الوسطى في نيجيريا حتى يرسلوهم إلى إنكلترا للدراسات العليا، ويأتي هؤلاء الذين قد كانوا ممن لا قيمة لهم قبل الخروج، يصيرون هم الرؤوس في البلاد والباقون أذناب، وهكذا بدأت دعوة التبشير تحقن الإسلام الذي لا يعرف الميوعة ولا المجون لإغراء أحد بشيء.

كانت حركة التبشير تخطو خطوتها بالنزاع والصراع مع الإسلام في بلاد يوربا. ومن المدن التي استقر بها الإسلام في هذه البلاد مدينة إسَينْ {Isẹyin}، وقد شاهدت هذه المدينة حركة التبشير

المسيحي لأول مرة في سنة ١٨٥١م تحت قيادة الكارز رَيْفْرَيْنْدِ تَوْنسَانْدِ، ورَيْفْرَيْند تِي، جِي، بُووَنْ. فلم يجدوا لدى الملك ومسلمي المدينة قبولاً. ثم عاد تَوْنسَانْدِ ١٨٥٦م إلى إسَينْ، وجاء بعده إلى المدينة بَوْهَلاَرْ لتشييد بها الكنيسة، فكان كل محاولاتهم مع أهل البلاد لم ينتج بشيء إلا الصفر ۞.

انقطع المبشرون عن مدينة إسَينْ زمنًا، وظلّوا يفكرون في فرصة ينتهزونها للدخول في أوساط المسلمين في المدينة. ففي سنة ١٨٨٢م جاء الكارز أيْ. أيْنَ، فوَسْنَا إسَيْنَ في نزاع طرحه بين المسلمين وهو: " أيهما كلام الله. القرآن أم الإنجيل" ؟. فشرع يناقش المسلمين في الموضوع، حتى جاءهم يومًا في رمضان ١٢\٨\١٨٨٢م۞۞، وكان ذلك في مسجد الجامع صباحًا والإمام يفسر القرآن الكريم، وبعد أن ألقى عليهم السلام، جلس عند الباب خارج المسجد يستمع القرآن، وكان موضع تفسير ذلك اليوم سورة الحجرات. وما أن انتهى الإمام۞۞۞ من تفسيره حتى انتهز الفرصة لخطاب الجماعة. وفي اليوم التالي، بكّر المسجد ليماري الإمام على ما حذّر به الجماعة عن الوقوع فيه من شبكة التبشير خلال تفسيره أمس۞۞۞۞.

۞ تي، جي، أوْ، بدماصي: نمو الإسلام بين اليوربا، المرجع السابق ١٢٥.

۞۞ نمو الإسلام بين اليوربا، ، ص ١٣١.

۞۞۞ هو الإمام الشيخ داود القصير المتوفى ١٩٠٠م، راجع نسيم الصبا للألوري، ص١٣٣.

۞۞۞۞ نمو الإسلام بين اليوربا ، ص ١٣١.

أينما يتّجه التبشير يلتق الصراع مع المسلمين في بلاد يوربا، ولقد لقي التبشير أيضًا الصراع مع المسلمين حينما دقوا جرس دعوتهم إلى مدينة إوَوْ يطلبون من ملك أدَيْني {Adeni} المتوفى سنة ١٨٦٠م إيجاد معلم مسيحي في مدينة إوَوْ. فقد بشّ الملك في وجوههم لأول مرة، وقدم لهم الهدايا، فاعتبروا هذا علامة الرضى والقبول. ولما أعرض الملك أمرهم على حواشيه، أنكروا عليهم القعود في المدينة، فنفوهم عنها بدون تردد ۞.

كادت أيدي التبشير تترب لما وصلوا مدينة إبادن ١٨٥١م تحت قيادة رَيْفُرَيْندِ دِي، هِنْدَارَىRev. D. Hinderer} ، فقد حملوا أمر هذا الكارز إلى مجلس الشورى في المدينة، فأنكر عليه المكث أوْسُنْدِينَا {Osundina} الذي كان مسلمًا بقوله: "هؤلاء هم المفسدون في الأرض. ولا يخرجون من بلاد إلا بعد ما أفسدوها". ولكن أوْغُنْمَوْلاَ {Ogunmola} من هذا المجلس، فضَّل بقاءه معهم، واحتج بأنهم قد سبق أن كانوا في لاغوس، وبداغري، وأبيكوتا. ثم آل الأمر إلى الاكتشاف الباطني بالكهنوت، بإشارة من إبيكُنْلَيْ Ibikunle} ، فأثبت الكفرة في مدينة إبادن إبقاء الفجرة. وقد هاج الأمر أوْسُنْدِينَا، وأحدث ذلك اضطرابًا في المجلس زمنًا ۞۞.

۞ المرجع نفسه ، ص ١٢٦.

۞۞ سَمُوَيْلْ جَوْنسَانْ : تاريخ يوربا ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣١٦ ، وانظر كذلك المرجع السابق ، ص ص ـ ١٢٦/١٢٧.

وفي بلاد إجَيْبوُ خصوصًا في أيْبَيْ pę } ، قام صراع عنيف بين المسلمين والتبشير فيها، ولما وصل فيها دِي هِنْدَارَى ١٨٧٦م أنكروه وردّوه بقولهم: "نحن هنا مسلمون" ۞. وقد جرّب التبشير القعود في أيْبَيْ مرارًا ولم ينجحوا، حتى جاء ذلك في تقارير المبشرين التي كانوا يسلمونها في مجلسهم الأعلى سنويًا في لاغُوسْ منذ سنة ١٨٩٥م، حتى كان أهل أيْبَيْ قد منعوا أولادهم عن حضور مدارس التبشير في ذلك الوقت ۞۞.

وقد اشتدت نفوذ أهل أيْبَيْ في الإسلام منذ نزول السلطان كَوْسُوْكَوْ المنفى من لاغوس إثر نزاعه مع أكْنِطوْيَيْ ١٨٥١م فيها، وقد كان في صحبته إلى أيْبَيْ عدد من المسلمين من الجنود المرتزقين، منهم النوفاويون، والهوساويون، وعلى رأسهم الجنود أوْشَوْدِي النوفاوي ۞۞۞، من بقايا المتقاتلين في حرب أهَوْيَايَا.

لم تعرف الدعوة التبشيرية الاستثناء بين الصغير والكبير، وقد كانوا يجذبون الصّغار عن طريق الإغراء والتعليم، فقد حاولوا في شهر نوفمبر سنة ١٨٨٧م إصداء قلب بنت مسلمة اسمها "جَيْمِي - Jęmi" في عشر سنين من عمرها بالعقيدة المسيحية،

۞ نمو الإسلام بين اليوربا ، ص ص - ١٣٤/١٣٦.

۞۞ المرجع نفسه ، والصفحة نفسها.

۞۞۞ تقدم ذلك مرارًا، وانظر نسيم الصبا للألوري، ص ١٨٤.

فأثار الأمر مشاجرةً بين أهلها وبين المبشرين، وكان الفيصل بين الطرفين، القضاء الأسري الدموي ۞.

وأما أبشع وأشنع ما قام به التبشير في النيل من الإسلام في هذه الديار، فهو محاولتهم ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اليورباوية، نتيجة لما كانوا يقابلونه من الصعوبات لدى المسلمين اليوربا، وخاصة من أمثال ما يضمر لهم المسلمون بأنهم المفسدون في الأرض. فقد احتسوا بعدم تقدم المسيحية سنة ١٨٧٥م، فأجمعوا آراءهم لتعلُّم اللغة العربية، لأن المسلمين كانوا ينكرون عليهم دينهم وما لديهم من ترجمة القرآن إلى اللغة الإنكليزية. فقرروا إرسال بعض منهم إلى كلية فُوْرَابَيْ بسيراليون لتعلُّم اللغة العربية على يد بروفيسور اللغة العربية بالكلية، حتى يتمكنوا من نشر تبشيراتهم بالكتيبات المطبوعة باللغتين العربية واليورباوية بفلسفتهم النصرانية، فقد تفرغوا للمسلمين هذه المرة، حتى قال منهم رَيْفُرَيْنْدِ جَيْمْسْ جَوْنسِنْ {Rev. James Johnson} :

"وأما عن المسلمين، فغاية مرامنا أن نجد منا من يتتلمذون على أيدي علمائهم قبل أن يغادروا المدارس" ۞۞.

۞ تِي، جي، أوْ، بدماصي: نمو الإسلام بين اليوربا، ص ١٣٩.

۞۞ المرجع السابق نفسه ص ص ١٢٨/١٢٧، نشأت هذه الفكرة بعد نزول الدكتور ويلمت بليدن في نيجيريا ١٨٩٣م، وهو من أشار لِمَلِكَةِ إنكلترا بفتح مدرسة خاصة للمسلمين في نيجيريا مثل ما في سيراليون. فلعل هو من يود التبشير التعلم العربي عنده في سيراليون في حديثهم السابق. فقد أحس التبشير قرية انفصال المسلمين عنهم، لذلك احتلوا بالتعلّم العربي من العلماء المسلمين من ١٨٩٦م راجع الفصل الثاني من هذا الكتاب.

هذا، فقد عمد التبشير لمصارعة الإسلام في أربعة أشياء ليكون الإسلام في اعتقادهم دينًا منسيًا في نيجيريا، فاهتموا اهتمامًا بالغًا بالتعليم الإنجيلي، واهتموا بتدريب القساوسة، واهتموا بالتعمق في تعليم اللغة الإنكليزية، ثم اهتموا بتجهيز منهم من يتعلمون اللغة العربية من المسلمين لإخراج كتب التبشير باللغتين العربية واليورباوية ❁.

وللأسف الشديد أن هؤلاء المبشرين دخلوا على مُدَرِّسي اللغة العربية والإسلامية في مدارسهم من وراء الستار، فجعل الإفرنج وبعض من القساوسة المحلية يتعلمون العربية من العلماء المسلمين في المدارس. فمثلاً في لاغوس بدأوا يتعلمون عند الشيخ إدريس أنِمَشَاهُنْ {Animasahun} ١٨٩٦م، وكانت تتكرر الدراسة مرتين أو ثلاث في الأسبوع . وممن نبغوا في التعلّم العربي عند أنِمَشَاهُنْ ، رَيْفْرَيْنْدِ أيْمْ ، أيْسْ ، كَوْلْ {Rev. M. S. Cole} ؛ وجَيْمْسْ جَوْنسِنْ ؛ وتِي ، أيْ ، جِي، أوْغُنْبيي {Rev. T. A. J. Ogunbiyi} ؛ وأيْمْ ، تِي أيْلاَ أجَايي {Rev. M. T. Euler- Ajayi}❁❁. وقد تعلم هؤلاء اللغة العربية من أنِمْشَاهُنْ بدون إطلاعه على نيتهم على القاعدة القائلة: "لا أحد أفطن ممن يخدعه" .

❁ المرجع نفسه ، ص ١٢٨.

❁❁ المرجع السابق، ص ١٢٩.

بدأ هؤلاء بعد تخرجهم على أيدي معلميهم في اللغة العربية يتعاقبون في تأليف الكُتَيِّبات في المسيحية وفي الإسلام، وتضم تأليفاتهم اللغتين العربية واليورباوية ليضلوا بها عن سبيل الله، فألَّف تِي، أيْ، جِي أوْغُنْبيي في هذا الطراز كتبًا كثيرة، منها: "المسلمون" تحدَّث فيه عن معتنقي هذا الدين الحنيف. ومنها "سيرة محمد" كذب عليه فيه ما أمكنه. ومنها "التعبيرات الوجيزة". ومنها "كلام الله". وكان أقبح وأقدح ما قام به أيْمْ، أيْسْ كَوْلْ، ترجمته القرآن الكريم إلى لغة يوربا. وقد انتشرت هذه الترجمة في أوساط المسلمين في بلاد يوربا إلى سنة ١٩٠٨م في هذا القرن ۞.

أليس عجيبًا بأن الفتى ... يُصاب ببعض الذي في يديه

هذا، ولما علم المسلمون ما بدأ به المبشرون من أكلهم لحومهم أحياء، اغتاظوا بالأمر. فظلَّ الشيخ إدريس أنِمَشَاهُنْ ومن خدعهم معه المبشرون في التعلُّم العربي منهم يقرعون سِنَّ الندامة. ولكن مع ذلك قد أعادت هذه الكارثة التي أصابت المسلمين بخيرين اثنين لهم أخيرًا:

الأول: انسحاب أبنائهم من المدارس الحكومية وتأسيس الجمعيات الإسلامية التي قامت تتكافل بتعليم أولاد المسلمين

۞ المرجع نفسه ، ص ١٣٠.

ثقافتي العربية والإنكليزية، ليتخلصوا من شرور هؤلاء الكوازر، وقد تحدثنا عن ذلك في الفصل الثاني.

- والخير الثاني: تزويد أبناء المسلمين الذين كانت لهم الثقافة العميقة في العربية والإنكليزية لدراسة الأناجيل ونقدها وإخراج مثالبها، ، فاشتهر هؤلاء "بأَكَيْوُكَيْوَيْ" {Akewukewe}، بمعنى {الجامع بين تعلُّم العربية وتعلّم الإنكليزية، الملمّ بهما}. وقد اكتدّ المسلمون من هؤلاء العلماء بإدخالهم الأرجل مع التبشير في سراويلهم، واكتحال عيونهم بالفلافل، وتناطح معهم في ساحات الإنذار والتبشير، فبدأ يُكتب للمسلمين النصرُ على هؤلاء من ذلك الوقت مرارًا وتكرارًا.

وعلماء أَكَيْوُكَيْوَيْ في بلاد يوربا كثيرون، وأشهر أَكَيْوُكَيْوَيْ الذي يرمز إليه بالبنان من مطلع هذا القرن هو المرحوم الشيخ عبد السلام بَوْلاَجِي الإبادنيّ الأوفاوي الأصل، وكان منهجه مع المسيحيين " المجادلة بالتي هي أحسن ". يحمل القرآن عن يمينه، والإنجيل عن يساره، ثم يغربل بين الاثنين لِيُخرج بذلك الفضة من القضة. وكل يعرف أن الأناجيل أنواع. فقد كان من شأن الشيخ بَوْلاَجِي أن يخرج حوالي عشرة أنواع من الأناجيل للمسيحيين في مجلس وعظه، ويقرأ ما في كل منها من الاختلافات مع ذكر رؤوس الآي منها بدون النظر في الأناجيل، ثم يغربل هذه الأشياء بالنصوص القرآنية مما يفتري به التبشير على المسيح، فيُبهت الذي كفر.

وقد كان للشيخ عبد السلام مؤلفات عدة كتبها غالبًا باليوربا رجمًا للمسيحيين، وهو أول المسلم المترجم للقرآن إلى لغة يوربا منذ الخمسينات لينسخ به الترجمة الفاسدة التي قام بها أيْمْ، أيْ، كَوْلْ المسيحي للقرآن. وهو من أشار إليه الشيخ آدم الألوري في ترجمة المسلمين للقرآن الحالية، وقد أسلم على يد هذا الشيخ عدد كبير من المسيحيين، ولد في ١٩١٨/٧/٢م، وتوفي رحمه الله سنة ١٩٧٩م.

وأما بقية أكَيْوُكَيْوَيْ في بلاد يوربا اليوم، فمن هذا الشيخ تتلمذوا وتعلموا هذا الأسلوب الدعوي، ومن أقوى المعاصرين من هؤلاء هجومًا على المسيحيين الشيخ الحاج صالح أجَدِي {Ajadi} بدماص مَايَيْ {Mayẹ} الإبادني. بدأ هو أيضًا هذا الأسلوب الموعظي من الثلاثينات، وقاوم المسيحيين مرارًا في بلاد يوربا، ولا سيما رَيْفْرَيْنْدِ أكَانْدَيْ {Akande} في مدينة أوْبَوْمَاشَوْ الذي تعلم هو أيضًا العربية للقراءة فقط، وكانت له مؤلفات للردّ على المسلمين. وللشيخ أجَدِي تلاميذ ومؤلفات قيمة في هذا الميدان. ويلي الشيخ أجَدِي مَايَيْ في هذا الميدان الشيخ صلاح الدين أوْلاَيوَوْلاَ {Ọlayiwọla} بمدينة أيْدَيْ {dẹ}، قاوم هو الآخر المسيحيين مرارًا، وكانت له مدرسة عربية ثانوية كبيرة في مدينة أيْدَيْ، كما كانت له مؤلفات أيضًا للرد على الحركة التبشيرية المسيحية.

ومن أكَيْوُكَيْوَيْ المشهورين أيضًا الشيخ عبد الوهاب أوْلُوَاكَيْمِي {Oluwakẹmi} في إبادن، له حركات تجاه مقاومة المسيحيين لا تذروها الرياح، وله مدرسة عربية ثانوية في إبادن، كما كانت له مؤلفات عدة في حقل الدعوة والرد على المسيحيين، ولد ١٩٣٤م وتوفي حديثًا في ٢٠١١/١/٨م.

ثم اقتفى هؤلاء الحاج صادق أمين يَيْلْوْ في مدينة أوْبَوْمَاشَوْ، تتلمذ على يد الشيخ مَايَيْ أجَدِي في إبادن، وله مؤلفات في هذا الحقل. وكان في هذا الحقل أيضًا المثقف الدكتور بنيامين ألاويَيْ، طاف هو العالم كله، وكانت له مؤلفات في هذا الحقل، ومقره لاغوس.

ثم ظهر في هذه الآونة في مدينة إبادن الأخ الدكتور داود أمَاوْ ألاغا {Amọo Alaga} في هذا الميدان، فكان يناطح المسيحيين خَلوةً وجُلوةً؛ وكان النصر دائمًا جنبه كسابقيه. وله مؤلفات في الموازنة بين الإسلام والمسيحية، كما أن له تسجيلات في المقارنة الدينية في الكاسيت، والفيديو، والقرص؛ كما كان يذيع نشاطاته الدعوية في هذا الحقل على الإذاعات والتلفزيون في بلاد يوربا، ولد داود أمَاوْ ألاغا عام ١٩٩٥م.

ويكفي من يعرف أحمد دِيدَاتْ في جنوب إفريقيا أن يقيس به هؤلاء، ولا فرق بينه وبين أكَيْوُكَيْوَيْ بلاد يوربا في الأسلوب في حقل الدعوة، والإرشاد، والرد على المسيحية؛ حفظ الله جميعهم، وأكثر لنا أمثالهم في الإسلام آمين.

وأما في بلاد هوسا، فلم يكن بينهم وبين المبشرين صراع، لأنها هي منبع الجهاد العثماني الفودوي، وأقوى الدولة الإسلامية في نيجيريا، وكان كلما حاول التبشير الدخول فيها خرج صفر اليدين. لأن المبشرين قد عرفوا ما عانوه عند المسلمين في الجنوب، المنطقة التي لم تصلها الدعوة العثمانية مباشرة، فضلاً عن الشمال الذي كان المنبع للدعوة العثمانية. هذا، ومع ذلك، فقد وجد في الطرف الشمالي مما يحاذي نهر النيجر إلى جهة جَوْسْ وكَادُونَا من كانوا مسيحيين، فكان معهم ومع المسلمين في هذه المناطق الصراع الديني والقبلي من أمس نيجيريا حتى اليوم.

وأما بلاد إيبو، فلم يكن هناك أي صراع مع المسيحيين فيها من فجر دخولهم تلك المنطقة، لأنه لم يكن فيها أثر للإسلام يذكر في ذلك الوقت. فإنما هم الآخرون قد أنكروا على المسيحيين الغلوّ في الدعوة، فأفهموا المبشرين بأنهم إلى التعلُّم أحوج من التبشير. وقد أثّر ذلك في الشعب الإيبووي حتى اليوم، حيث كانت نساؤهم وأبناؤهم هم من يهتمون بالدين والحضور إلى الكنائس. وأما الرجال، فليس لهم اتجاه إلاّ إلى معملهم أو متجرهم سعيًا وراء الرزق، لذلك يكون عقبى الأمل في انتشار الإسلام في بلاد إيبو في أقرب وقت إن شاء الله محمودًا.

ترصّد النصرانية للإسلام قبل حلول القرن الواحد والعشرين ۞

لم يكن في صفحة التاريخ ألدُّ عدوّ للإسلام خصامًا إلا اليهود والنصارى؛ ولما كان اليهود محدود الحركة والانتشار خلاف النصرانية، أصبحت هي وأنصارها من يتبعون حركات الإسلام ليطفئوا نوره بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

لا يزال المسيحيون مغتمّين بانتشار الإسلام من ماضيه حتى اليوم، ولا سيما ما كان له من التفوق والتعالي على المسيحية مع ركوبها والسهل والصعب لإقبار الإسلام في القرن العشرين، وكان الإسلام دائمًا ينملص من مكيداتهم.

تضايقت النصرانية بتفوق الإسلام وانتشاره في إدبار القرن العشرين، فترصد أنصارها لإيجاد أسلوب لقتل الإسلام وإقباره؛ فعقدوا مؤتمرات ومقابلات عدة على ذلك، بعضها في أميركا وبعضها في نيجيريا؛ واتفقت آراؤهم أخيرًا في كلمة واحدة وهي: "تنصير العالم كله قبل حلول القرن الواحد والعشرين"، وأوصوا كل مشترك في المؤتمرات أن يعمل للهدف في دولته. واتخذت المؤتمرات مكانها في أميركا في السنة التي تسبق

۞ لم يكن هذا الموضوع وما بعده من إسلام الأسقف مَاتِيئُ أُوْيَيْوَوْلِيْ، وما أصيب به المسلمين من هذه المكيدة، وظهور جماعات إسلامية وحركاتها الصراعية أمام طامة النصرانية في إدبار القرن العشرين من أصل الكتاب، وإنما ألحقت به قبل تقديمه للطبع في شهر ديسمبر ٢٠١٠م.

العقد الأخير من القرن العشرين {١٩٩٠م}، وأوصوا أن يعمل كل منهم بجدّ خلال العقد الأخير لتحقيق الهدف المنشود: تنصير العالم كله قبل حلول القرن المقبل، {القرن الواحد والعشرين}.

عاد أعضاء المؤتمر النيجيريون إلى بلادهم، وكان رائدهم فيها إيبَوْوِيًا من جهة الشرق في نيجيريا. واتخذوا مكانهم لمقابلات ومؤتمرات من جهتهم في مدينة بينِنْ الواقعة حاليًا في ولاية أيْدَوْ {Edo} بأرض سموها أوْكَادَا وَنْدَارْ لاَنْدْ { Okoda wonder land}، فبدأ كبار المسيحيين والأساقفة في نيجيريا يتخذون اجتماعاتهم في هذه الأرض من ١٩٩١م ، بقية عشرة أعوام قبل القرن الجديد المنتظر.

وقفتُ أنا المؤلف على خبر هذه الحادثة من قبل أسقف من أساقفة المسيحية سابقًا اسمه الأسقف مَاتِيئُ أوْيَيْوَوْلْيْ {Pastor Mathew Oyewọle}، وكان يورباويًا نصراني الأصل من جهة أبويه اللذين كانا من الفرقة المسيحية الكاثوليكية، والذي أسلم أخيرًا وتسمى بمسعود، ثم حجّ وعُرف أخيرًا بالشيخ الحاج مسعود أوْيَيْوَوْلْيْ.

شافهني بهذه الحادثة فضيلته عند التقائي معه في بيت الشيخ محي الدين أجَانِي {Ajani} بللو، الواعظ المشهور في بلاد يوربا في ٢٠٠١م، وكنت أعرفه قبل الوقت بوعظه العلني العلني تحت رعاية الشيخ مسعود أوْلاَتْرَيْوَاجُو أدَيْبَوْجُو

{Ọlanrewaju Adepọju}، الشاعر المشهور الذي قد سبق أن تَاهَ هو مثله قبل أن يعيده الله إلى الإسلام، وصار واعظًا جريئًا لا يخاف في الله لومة لائم؛ التقى الشيخان السميان، فوافق شنّ أحدهما الطبقة في الحقل الدعوي الإسلامي.

شافهني فضيلة الشيخ مسعود أوْيَيْوَوْلَيْ بحادثة نية تنصير النصرانيين العالم قبل حلول القرن الواحد والعشرين، نتيجة المؤتمرات الآخذة مقعدها في أمريكا، ثم المؤتمرات الوطنية الآخذة مكانها في أوْكَادَا وَنْدَارْ لاَنْدْ بمدينة بينِنْ بالجنوب الشرقي في نيجيريا، وكانت حركة تُموِّلها الأمريكا لتحقيق أمنيتهم قبل الوقت المحدد.

أما نتيجة المؤتمر، فكانت منحصرة في ثلاث نقاط رئيسية؛ فهذه النقاط هي التي ستكون موضوعات الوعظ لدى كل أسقف يطلع المنبر أمام قومه ليلاً ونهارًا، وسرًا وعلانية، في طول وعرض البلاد؛ وهي التي تكون أقوى أسباب جلب العوام من مسلم وغير مسلم من المضطرين إلى المسيحية، وأما النقاط المذكورة عندهم حينئذ فهي كالآتي:

١. الفقر : شرطوا على أساقفتهم أن يخوِّفوا الناس من الفقر، وأن يؤمنوا بالمسيح ويصمدوا إليه، ومن آمن بالمسيح حق الإيمان فقد نجا من الفقر.

٢. الأعداء : شرطوا أن ينادوا الناس بالاحتراز من الأعداء لأنهم مصدر الفقر؛ وشرطوا أن يقولوا لكل واحد أن يحترز من أبويه، وزوجته، وأبنائه، وأصدقائه؛ فجعلوا لذلك يُفرّقون بين المرء وزوجه، فأصبح الكل ينظر إلى حبيبه وصديقه كنظر الفأر إلى القط.

٣. الشفاء : شرطوا أن يقولوا للناس بأن الشفاء بمعناه الكامل بيد المسيح، وعلى كل مريض أن يؤمن بالمسيح حقّ الإيمان، ويردد اسمه في نفسه نومًا ويقظةً؛ وكان في ظلّ الشفاء زوال العقم، وربطوا كل ذلك في قدر الأعداء، وتناسوا من جهتهم الحق تعالى الذي له الخلق والأمر.

إن هذه الأمور هي نقاط الدعوة النصرانية للعوام علنًا وفي الكنائس، ثم يأمرهم أسادهم بأن يكونوا لبقًا في دعوتهم، إلا أن يقولوا للناس: " إنما دعوتنا إلى النجاة، لا إلى الدين، فأتوا بأموركم إلى المسيح، وهو من ينجيكم من المصائب".

هذا هو الأسلوب لجلب العوام إلى المسيحية، وكثيرًا ما كانت النساء هن الفريسة لهذه الدعوة المضلة.

أما الأمر الثاني لربط قلوب المجيبين والمجيبات لدعوتهم، فإنهم يسألون المرأة عن زوجها وعن أولادها؛ وإذا تبين لهم أن أسرة المرأة مسلمة، وزوجها متحرك متوسط الحال، عمدوا في تسليط الفقر على الأسرة، وقد يكون عادة أن المرأة تحضر

الكنيسة بغير علم زوجها؛ وإذا تبين لهم ذلك، طلبوا من الزوجة أن تحضر المرة المقبلة من بيتها بالماء، يدعون لها على الماء لزيادة حسن حال الأسرة، والمرأة المسكينة تفرح وتشكر الأسقف الذي لا تدري هي أنه يغرها ويكيد لها. وإذا جاءت المرأة بالماء على الطلب {ويسمون الماء ماء النجاة}، عملوا لها الشعاوذ في الماء مما يزيل النعمة عن الأسرة، خلاف ما قالوا لها وخلاف ما هي تتوقع؛ فيأمرون المرأة بأن تصب من الماء في طهي طعامهم وتجهيز شرابهم، ليلحق بالأسرة العسر والبلاء. ثم جعلوا يراقبون إشعال ما أوقدوا من نار الفتنة داخل الأسرة؛ وما إن يمضي شهر أو شهران حتى يبدأ يتغير حال الأسرة إلى ما لا يسرهم، ولا يحمد عقباه؛ فيجعل هؤلاء الأساقفة المنافقون يأمرون المرأة بأن تستمر بإخبارهم بما يجري في دارهم من حسن حالٍ إثر ما قاموا لهم به من الدعوات. وإذا أخبرتهم المرأة بأمر سلبي، قالوا: " ملاحظتنا أنه لما يدخل الإيمان بالمسيح في قلوبكم ". ثم زادوا للمرأة الدعوات السحرية على الماء، وكلما استخدمت المرأة الماء، ازدادت هي وأهلها عسرًا وبلاءً؛ ثم أخيرًا يبقى الزوج المتحرك عاطلاً بخسارة من تجارته، أو طرد من وظيفته؛ وإذا وقف هؤلاء الأساقفة على هذا الخبر السيء الذي هم سببُه من المرأة، حمدوا المسيح؛ إذ عرفوا أن الأسرة بأسرها قد وقعت في شبكتهم بواسطة ربة المنزل. وحينئذٍ يشاورون المرأة بملازمة

الدعاء والصيام لزوجها لأنه غير مؤمن بالمسيح؛ ثم شرعوا يقدمون للمرأة ألوانًا من المأكولات تطبخها في المنزل لأسرتها، تخفيفًا لهم وصدقة من المسيح؛ وإضافة إلى ذلك، يقدمون لها شيئًا من النقود لقضاء بعض حوائجهم الأخرى.

ومن هنا تفرح المرأة المتربة، وتحمد المسيح الذي أعطاهم أكولهم وشرابهم؛ ومن هنا أيضًا يقول هؤلاء الأساقفة للمرأة أن تحضر بزوجها العاطل الذي قد بدأ يأكل من صدقة المسيح، فالمسيح يوظفه ويعيده إلى سيرته الأولى إن كان به مؤمنًا.

تكون المرأة تطلب من زوجها زيارة أسقف الكنيسة الذي قد بدأت هي تذهب إليه منذ أن نزل بهم ما نزل بهم، وقد كان هو بهم لطيفًا رحيمًا بارًا، كان يحبهم لله؛ ولذلك كان يقدم لهم الطعام وشيئًا من النقود، فلعلك يا زوجي إذا أجبت دعوته، قد يجعل لك عملاً تتحرك به، أو وظيفة نعيش عليها ونتخلص مما ألمّ بنا من الفقر باسم المسيح.

وزحفًا يجيب الزوج المسكين المغلوب على أمره من جهة المنافقين في الدين دعوة الأسقف، فيرى له رؤيًا كاذبة لأن يترك دينه السابق، ويتحول إلى المسيحية التي تهتم بمساعدة المضطرين، وإغاثة الملهوفين.

وفعلاً يتغير حال الرجل المصدوء القلب من سوء الحال الذي وقع فيه، فيجيب الأسقف لطلبه المكري الخداعي، فيتحول هو

إلى المسيحية ليكون المسيح له عضدًا ظهيرًا في طلباته، ومنجيه من الفقر والمصائب.

ينبري الأسقف وأنصاره يصفقون ويرقصون لنجاحهم من قبض فخاخهم رجلي الرجل المسكين المنهار في موجهم من مكيدتهم، وهو وزوجته بذلك جاهلان؛ فتظل قلوب هؤلاء الدعاة المنافقين ترقص من أنهم قد اصطادوا أسرة الزوجين برمتها. فعند ذلك يشيرون للرجل إلى خدمات وأعمال في محيط الكنيسة، أو إلى وظيفة خارج الكنيسة يتقاضى منها راتبًا يعيش هو عليها مع أسرته ولكن بشروط:

١. أن يدخل في المسيحية كآفة، وأن يؤمن بالمسيح بأنه هو القادر على كل شيء، وأن بقدرة المسيح حصل على الوظيفة التي هو حاليًا يعيش عليها؛ وعليه أن يجعل ذكر المسيح وردًا له، يذكره على لسانه سرًا وجهرًا، ويمدحه ويقدسه أينما كان، وأن يجزم على نفسه بالموت خيرًا من الردة عن النصرانية.

٢. أن يعلم أن العُشر من رواتيه أو من أي شيء يرتزق منه للمسيح؛ يدفعه يوم حصوله على الراتب، وأن عدم دفع العشر في الوقت المناسب عقوق.

٣. أن يتعاهد معهم بأنه سيجلب إلى المسيحية عددًا من أشقائه وأقربائه، وأن له نصيبًا على كل فرد مِنْ مَنْ جاء به، تدفع له الكنيسة جزآءً وفاقا.

بعد هذه الشروط والمعاهدات يباشر المسكين العمل، فيكفّ الأساقفة عن إعطاء الأسرة الماء {السحري} الذي كان سبب فقرهم، فيتحسن بذلك حالهم، ويشكرون المسيح الذي نقّحهم من قشور الإسلام، وأعاد بهم إلى خير الزمان، ولا يدري المسكين أنه سحر ومكيدة؛ وقد أزال ساحروهم ما أصيبوا به، لذلك أعاد بهم الله إلى ما هم عليه من الحال الذي سبق أن كانوا في الإسلام أمس؛ ثم أخيرًا تخلع الكنيسة منصبًا دينيًا على الزوجين سلسلة على أقدامهما.

هذه هي مكائد النصرانية لصيد المسلمين إلى عرائنهم مما اختطوها لتنصير المسلمين في العالم أو في نيجيريا كلها قبل حلول القرن الواحد والعشرين.

- إسلام الأسقف مَاتِيئُ أَوْيَيْوَوْلَيْ

هدى الله الأخ الأسقف مَاتِيئُ أَوْيَيْوَوْلَيْ وشرح صدره للإسلام على ضرب ما كان من أمر نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام الذي رباه فرعون، وهو مما ينبغي أن يُقتل على عزمه، من قتله كل من يولد ذكورًا منذ أن رُؤِى له الرؤيا أنه سيولد غلام في مصر ويكون هو سبب هلاكه، فركب السهل والصعب في إغلاق كل باب تتحقق منه الرؤيا؛ فأمر بقتل كل غلام يولد في زمانه، فأنجا الله نبيه موسى، وكان هو سبب هلاكه تحقيقًا لإرادة الله كما في القرآن العظيم.

رَبَتِ النصرانية في نيجيريا مئات من الأساقفة فيما فيهم الأسقف أوْيَيْوَوْلَيْ محاربة للإسلام والمسلمين، إلا أن الله يأبى إلا أن يتحول أوْيَيْوَوْلَيْ من رسل النصرانية إلى دعاة في الإسلام بعد أن قضى عندهم وطرًا رسمه له فيهم.

كان بعد أن رجعت الأساقفة من المؤتمر المحلي الذي تمّ انعقاده في قرية أوْكَادَا وَنْدَارْ لانْدْ في مدينة بينِن، وشرع كل أسقف في تنفيذ ما اتفقوا عليه من نتائج المؤتمر في كنيسته، لم يمض به أشهر حتى فوجيء برُؤيًا منامية يكون فيها مصليًا في المساجد مع المسلمين. وكلما استيقظ أوْيَيْوَوْلَيْ من هذه الرؤَي استعاذ بالمسيح من الشيطان؛ وكلما فعل ذلك ازداد له الرؤي، فضاقت به نفسه، ولم يدر ما يفعل، فخرج إلى عالم مسلم ليؤوِّل له الرؤي، فأعلمه بأنه سيصبح يصلي، ويكون مسلمًا في حياته؛ فقال مرددًا معاذ الله بين يدي العالم، فانصرف غضبانًا مهتمًا مغمومًا.

لم يذق الأسقف مَاتِيئُ النوم الليلة إلا مغتمًا، يستصعب التحول من المسيحية إلى الإسلام. فكيف يتسنى لمن وُلد في النصرانية ورضع بها وأصبح أسقفًا يدير المئات في كنيسته أن ينسلخ من عقيدته ودينه النصرانية إلى عقيدة كانت هي تعاديها وتحاربها، وأراد قومها إقبارها قبل وقت محدد؛ ماذا يرى فيه الناس ؟ وماذا يقولون لو سمعوا به ذلك؟ أيُقبل أم يصلب؟.

لم يزل الأخ الأسقف يتفكر في عاقبة أمره إذا أصبح يصلي، ولكن لما تكرر الرؤي، وأصبح يتخبط أمام أغنامه {جماعته الذين هو يديرهم كما يقولون} في الكنيسة؛ فراجَع هو العالم المسلم، فأعلمه أنه لا بد مما أخبره به بأنه سيصبح مصليًا مسلمًا.

وفعلاً أصبح صاحبنا أوْيَيْوَوْلْيْ يجرب الصلاة في بيته بدون علم سابق له في الإسلام، ثم بعد أيام راجع العالم فاستشهد على يديه، فدخل في الإسلام، ثم علمه ما يقوم به من أمور الدين للمبتدئين مثله، فجعل يصلي في خفية في بيته بعد مكاء وتصدية الكنيسة. يسد هو على نفسه الأبواب والشبابيك في أوقات الصلوات، ثم تسمى على لسان العالم بمسعود أوْيَيْوَوْلْيْ بدل مَاتِيئُ أوْيَيْوَوْلْيْ.

ما من خفي إلا ظهر، لاحَظ فيه جماعته في الكنيسة تغير حاله من شيئين اثنين:

١. تخبُّطه في الوعظ العلني إمام قومه، فأصبح يذكر من أمور الإسلام أمامهم مع المسيحية، ويقرّ أمام الناس بأن هناك اختلافًا في الأديان، هناك دين حقيقي، وهناك دين تجاري.

٢. سداد الأبواب والشبابيك في بيته في غير الوقت المعتاد، فصاروا لهذين الأمرين يتجسسون أمره.

لا يدري هذا المسلم الجديد أن قومه كانوا يراقبون من فوهات النوافذ عند غلقه على نفسه الأبواب والنوافد، فيرونه يصلي؛ فدقوا عليه الباب مرتين مختلفتين، فأسرع يخرج إليهم في الصالة، إذ كان يسكن مع عياله في بيت الأساقفة داخل الكنيسة، ويتقاضى راتبًا لا بأس به، بالإضافة إلى أقسام يتسلّمها من العشر من الدخلات، صدقة ورحمة من المسيح.

سبقت أيامٌ كانت هي للأخ مسعود في تجربته الإسلام، ثم جاء يوم كان هو عليه، يوم ابتلت أسراره لقومه، يوم نسي أن غلق الباب حين يصلي؛ فدخلوا عليه ووجدوه يصلي، وصرخوا، وكادوا يفترسونه؛ وتكالب عليه الجماعات من نواح بعد لحظة، يشتمونه، ويلعنونه، وينفّقونه. ولم يلبث أن سلموه للشرطة، ثم المحكمة، ثم السجن، حيث يذوق بأس ما عمل وما ظلم به قومه.

دخل الأخ مسعود المسلم الجديد في السجن، وكان يزداد فيه إيمانًا بالله وبالإسلام دينًا. وجاء يوم يبلغ إيمانه في السجن ذروته، يوم كان رجل من أسيادهم فيه طغا، وهو مدمن تدخين الحشيش؛ طغا الرجل ذلك اليوم، وركب رأسه، وجزم على تدخين الحشيش بقطعة من أوراق القرآن الكريم، وأوضح بأنه قد ظل أن كان يقطع من أوراق البَايْبُلْ {التوراة والإنجيل} لتدخين الحشيش، وما من حادثة له بذلك واقعة؛ فاليوم دار إلى

القرآن دور؛ فدخل الرجل المسجد، ووجد المسلمين فيه قد فرغوا من الصلاة {صلاة العصر}، فأمسك القرآن وهو يقول ما يريد للجماعة به، فأسرع إليه إمامهم في السجن وهو هوساوي اسمه مَالَمْ داود، فأخذ يسترجع منه المصحف؛ فردّه الرجل الغليظ، فقطع من القرآن العظيم ورقة، ولفَّ بها الحشيش، وأشعل عليه النار؛ وأفواه الناس مفتوحة من أمره عجبًا! وما إن شرب من الحشيش ثلاث غرفات حتى انتقم الله منه؛ فهبّ يسعل سعالاً كاد يتنفس منه الصعداء؛ فقد تغير حاله، وزال عقله وجنّ؛ وصار الناس يلومونه من فعله هذا، وإن ظل أن كان - كما عرفه الناس به - يفعل ذلك بكتاب النصرانية، فماذا أوقعه في التدخين بالقرآن العظيم. ولما اشتد حاله، وعرف المسؤولون في السجن أنه قد تم فيه الجنون، أخرجوه إلى المكان المعروف لعلاج المجانين في مدينة أبَيْكُوتَا {أرَوْ Aro} في نيجيريا، حيث قضى فيه آخر حياته.

ففي هذا اليوم زاد إيمان الأخ مسعود بالإسلام وبكتابه القرآن العظيم، واستهان أمامه النصرانية وكتابها البايبل الذي قد ظل أن كان الرجل يدخن به، ولم يحدث بأثر ذلك له شيء؛ أما يوم تدخين الرجل بورقة من القرآن، نزلت به النقمة، وكانت من ذلك نهايته؛ ففي ذلك موازنة بين الإسلام والنصرانية، وبين القرآن الكريم والبايبل.

مكث الرجل في السجن أشهرًا يتضرع إلى الله ويحمده على ما هداه، ويدعوه أن يخلصه من السجن في أسرع ما يكون حتى ينضم إلى جماعة من المسلمين بعد خروجه من السجن، ويتمكن بذلك من تعلم أمور الدين؛ وكان مع ذلك قد سبق أن تعلم قراءة القرآن الكريم على يد إمامهم داود في السجن قبل أن يخلصه الله بإطلاق الحكومة سراح بعض السجين الذين كانت إجراميتهم خفيفة حينذاك في مقتبل العام الجديد. فكان الأخ مسعود ضمن أولئك الذين نظر الله إليهم برحمته، وخرج من السجن، وانتشر أمره في الناس. ولما سمع المسيحيون بخروجه من السجن، أخذوا يراقبون غفلته ليُقتل، صيانةً لدينهم على خوفهم من نشره ما قد وقف عليه من أسرارهم مما عقدوا من تنصير العالم أو نيجيريا قبل حلول القرن الحادي والعشرين.

بلغ أمر الشيخ مسعود أميرَ المؤمنين في بلاد يوربا الفاضل الحاج عبد العزيز أريشَيْكَوْلاَ أَلاَوْوْ {Arisekọla Alao}، فأرسل إليه، وأحسن به، ثم أنبت له ريشه، وأثبت له قوادمه؛ ثم أرسله للحجّ تتويجًا لدينه.

وأخيرًا انضمّ الشيخ مسعود أوْيَيْوَوْلَيْ إلى جمعية الأمة الإسلامية العالمية، المعروفة بيُو، أيْمْ، بي، {U.M.B} {United Muslim Brothers} في مدينة إبادن التي كان يرأسها الشاعر اليورباوي الحاج مسعود أوْلاَتْرَيْوَاجُو أدَيْبَوْجُو

الذي نما ذكره. فأصبح تتاح لأوْيَيْوَوْلَيْ الفرصة بواسطة هذه الجمعية لإبلاغ الناس بما قد ذاق من المرارة في السجن قبل أن يهديه الله للإسلام. وهو يقوم بالوعظ العلني، يحمل القرآن عن يمينه، والبايبل عن يساره؛ ثم ينادي بأعلى صوته ويقول: من استطاع من الأساقفة أن يواجهه ويناقشه في الدين الحقيقي، ويدّعي الصدق في النصرانية فليخرج ! ومن يريد منهم أن يرد عليه ما يقول، فليأته سرًا أو جهرًا ! فالباب مفتوح على مصراعيه.

هذا، إن إسلام الحاج مسعود أوْيَيْوَوْلَيْ لنَصْر للإسلام والمسلمين في بلاد يوربا، وكان إسلامه ودعوته العلنية ردمًا لأفواه النصرانية، وصراعًا بين المسلمين والمسيحيين، ولا سيما في القرن الجديد، القرن الواحد والعشرين الذي كان فيه نشر هذا الكتاب؛ أثاب الله الشيخ الحاج مسعود أوْيَيْوَوْلَيْ وأمثاله في هذا الحقل، وأمد في أعمارهم خدمة للإسلام والمسلمين.

- ما أصيب به المسلمون من هذه المكيدة

الحق في الأثر المشهور القائل: " لا أحد أفطن ممن يخدعه "، إنه قد أصيب المسلمين من مكيدة تنصير هؤلاء المسيحيين العالم أو نيجيريا التي اخترطوها للمسلمين؛ فقد جعل أساقفتهم

نتائج مؤتمراتهم موضوعات الوعظ أمام أغنامهم كما يقولون وهي كما سبق أن أشرنا إليها: الفقر، والأعداء، والشفاء.

وبما أن نيجيريا دولة في ذاتها غنية، وبأبنائها بسوء إدارة أمرائها فقيرة، ظهر على الثمانين في المائة من أهلها الفقر؛ فقد عرف أكابر هؤلاء المسيحيين أن سبب فقر شعوب نيجيريا ما هو إلا سوء إدارة أمرائها لها، لأن من المثقفين من كانوا من رؤساء الكنيسة، وكانوا ممن يسيؤون بنيجيريا إدارةً، ولكنهم تركوا حقيقة ما يعرفونه من الأسباب، وعدلوا إلى أشياء خيالية أخرى أدخلوها في ذاكرات هؤلاء المساكين المخادَعين، وجعلوا رأس أسباب الفقر عدم الإيمان بالمسيح. وبما أن القلوب تواقة إلى اليسر، فرارة من العسر؛ استجاب العديد من الناس دعوة هؤلاء الأساقفة، ووقعوا في شبكتهم باسم المسيح؛ إذ أن دعوتهم طوق النجاة، لا حماسة للدين كما أوّلوها، يستجيب لها الأنصاف من الشعوب.

استجاب العوام كذلك دعوة النصرانية بالاحتراز من الأعداء الذي بنوا عليه دعوتهم من الجهة الثانية، فكان الأساقفة يُفهمون العوام أن سبب الفقر فيهم الأعداء الذين ترصدوا لهم في كل مكان، فواجب عليهم إزالة مكائد ومصائب الأعداء بدعاء حار مستمر دائم، وصيام متوالية لا تنقطع، وبصدقات باهظة من أفضل أموالهم. ثم بالتزام إخراج العشر من أرزاقهم،

وبكل ذلك تتم الغلبة على الأعداء، والنجاة من مكائدهم باسم المسيح، والإيمان الصريح به سرًا وجهرًا.

وقع العوام في شبكة المسيحية أيضًا من جهة دعوتهم بالشفاء، فكم من أوقعه الفقر في السقم والمرض وأضراب من العاهة وبلبلة الأذهان، وعندما كان يدعو الأساقفة إلى الشفاء بالمسيح، ويقولون بأن الدعوة لا تتعلق بأمور دينية، بل إلى النجاة من المصائب؛ هرع المضطرون من أنصاف العلم من المسلمين ولا سيما الأمهات اللآئي قد قطع عن أسرتهن الفقرُ طعامَهم، وأضجع لهن الأولادَ على سرر المرض، ولم يجدن ما ينفقن لعلاج هؤلاء الأولاد في المستشفى؛ ثم بالتالي قد أدخلوا في أذهانهن خيال مكائد الأعداء على ما يصيبهن ويصيب أبنائهن، ثم يفهمونهن بأن النجاة لا تتم إلا بالتردد إلى الكنائس، وشرب أهلها من ماء النجاة الذي يحضرن به من منازلهن، فيدعو لهن عليه الأساقفة، ثم يشرب منه أهلها ويطهن منه الطعام لجميع الأسرة، فبذلك تتم الاستجابة والغلبة على الأعداء كلهم من إنس وجنّ باسم المسيح الذي لا يعجز ردّ سوء، وجلب خير للمؤمنين به حق الإيمان.

هذا، إن حركات التنصير هذه كان من سوء نتائجها حقًا إكثار تأسيس الكنائس على أثر إجابة الناس لها، فكانت الكنائس تتزايد يومًا فيوم، حتى قد يوجد في مبنىً واحدٍ، ذي طبقات وشقات أربع أو ثلاث، يوجد فيها أنواع من الكنائس المختلفة،

وحتى قد يوجد حجرة واحدة في المنزل تستعمل للبداية كالكنيسة؛ وقد يوجد كذلك في شارع واحد عدد من الكنائس، كما تُلقى دعوة النصرانية في نيجيريا في الشوارع وفي كل مكان، حتى في السيارات العامة، تراهم ينشدون ويصفقون، ويزعجون العوام بأصواتهم؛ وتراهم بالدور كذلك قبل انتهائهم من حركاتهم هذه، يجمعون النقود من الركاب المسيحيين الذين شاركوهم في الأنشودة والتصفيق، ثم يدعون لجميع الركاب قبل ترجُّلهم، بأن يوصلهم الله إلى أماكنهم باسم المسيح، وأن يقيهم بدمه، ثم ينزلون إن شاؤوا من السيارة، وينتقلون بدعوتهم إلى سيارة أخرى.

ترى رئيس كل كنيسة في كل مكان يزرع عند نفسه وعند أعيان من جماعته الذين كانوا معه يخدعون أغنامهم في الكنائس، تراهم ووجوههم ناضرة، يتطاولون في البنيان من خراج العشر الذي قد وضعوا كابوسه على عواتق أغنامهم؛ وكذلك ترى لهم أنواعًا من السيارات العصرية الفاخرة في الشوارع التي جمعوا أموالها من الضرائب؛ وترى للأسف كذلك من جانبهم أغنامَهم نخافًا هزلاً من توالى الفقر الناتج من الضرائب التي ظلوا يخرجونها لأسيادهم في الكنائس طوعًا وكرهًا. فسبحان عالم الغيب والشهادة الذي يجزي كلاً بعمله، ويعين الضعيف على القوي إن شاء، الذين صيروا دينهم تجارةً، وكنائسهم شركةً، فحسبنا الله ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير.

- ظهور جماعات إسلامية وحركاتها الصراعية أمام النصرانية نهاية القرن العشرين

على أثر مكيدة النصرانية للإسلام قبل حلول القرن الجديد القرن الواحد والعشرين أخرج الله جماعات إسلامية كان منبعها المملكة العربية السعودية، والجماعات هي: جماعة تضامن المسلمين، ثم هيئة الإغاثة، ثم الحرمين. وكان تمويل هذه الجماعات من السعودية ومن بعض بلاد العرب لتقوم دعوتهم أمام طآمّة النصرانية والتي كان منبعها الأمريكا، وجاءت الدعوة الإسلامية من هذه الجماعات متصارعة مع الدعوة النصرانية.

كانت دعوة الجماعات الثلاث رامية إلى التمسك بالإسلام والدخول فيه كافة، ثم التمسك بدعامتي الإسلام: القرآن الكريم والسنة النبوية قولاً وعملاً، فجاءت هذه الجماعات، فأسست مدارس ومآوي الأيتام، فأخذت هذه الجماعات تُدرِّس المسلمين مجانًا، وتقسم لهم الأضاحي في العيد الأضحى، ثم الإفطار للصائمين في رمضان؛ وتحفر لهم البركات في المدن والقرى والأرياف؛ ثم تعرض على البنات البالغات في مدارسها وفي غير مدارسها من نساء الجماعة ضرب الحجاب والنقاب على وجوههن. وقد أزالت هذه الجماعات أطرافًا من أمارات الفقر من المسلمين، فاسترجعت عددًا من المضلين والمضلات من

المسلمين في الدعوة المسيحية إلى الإسلام، فتغير بذلك الوضع النيجيري، ولا سيما بلاد يوربا بحركات الجماعات إلى الوضع الإسلامي؛ تظهر النساء المسلمات وعلى وجوههن النقاب، ويظهر الرجال المسلمون وجوههم ناضرة من إعفاء اللّحى وقصر السراويل، ويظهر عديد منهم كذلك في أنواع لباس العرب.

ويضاف إلى حركة هذه الجماعات حركة جمعية التبليغ التي تتفق مع حركات الجماعات الثلاث المذكورة؛ فكانت هذه الحركات تحادي الحركات النصرانية، وتصارع ما وضعوا للإسلام من مكيدة التنصير قبل حلول القرن والواحد والعشرين. وما إن ظهر القرن الذي كانوا يعملون له، حتى ظهر مقابلاً لحركاتهم الحركات الإسلامية ردًا على مكائدهم، فتبارك الذي اكتفى بنصر دينه الإسلام، القائل في محكم تنزيله: { يُرِيدُونَ أن يُطْفِئُواْ نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ } ۞ - صدق الله العظيم -

۞ سورة التوبة ، الآية ٣٢.

٢. الصراع بين العربية والإنكليزية في نيجيريا في ساحة الاستعمار و الاستجبار

لم تعرف نيجيريا استعمارًا غير الإمارة الإسلامية، وكان ذلك أيضًا حديثة، بدأت بالفتوحات العثمانية الإسلامية. فكان القائد لهذه الفتوحات يرسل أفرادًا إلى البلاد الواقعة تحت حوزته للإمارة الإسلامية، ولغرس العقيدة الإسلامية القوية فيها لأهل تلك البلاد. كما يكون في وظيفته أن يعلمهم كيفية تجهيز الجنود للقتال إذا دعى إلى ذلك داع.

وقد وقع كل بلاد هوسا في هذه الحوزة وكذلك بلاد نَوْفِيْ، ووقع أيضًا تحت هذه الإمارة بعض من بلاد الكاميرون والجمهورية البينوية، ولم يقع تحت هذه الإمارة في بلاد يوربا إلا مدينة إلورن وما حولها.

وقد عاشت هذه الإمارة ردحًا من الزمن في نيجيريا قبل مجيء الاستعمار الإفرنجي، فكبكب الإمارة الإسلامية على وجهها. فصار قيام الإمارة الإسلامية أمام الاستعمار الإفرنجي شبه قيام من يصيد الفيل بسلاحه أمام من يصيده بالقلنسوة {المسحورة}، أو بطبق العينين.

الحق أن المسلمين في نيجيريا حاولوا مقاتلة الإفرنج في الجنوب وفي الشمال. ففي الجنوب، قام الرد على الإفرنج باليد، والفم، والقلب - أي بالقتال والمكر، ثم بـ{... عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ }۞، ومثال القتال ما حدث لكَوْسَوْكَوْ ملك لاغوس ومن معه. ومثال الجهاد بالفم، ما نطق به أوْسُنْدِينْا في إبادن بقوله: " هؤلاء هم المفسدون في الأرض". ومثال الجهاد بالقلب كثير، يحتل هذا الفراغ من لا عناد له أو عَتَاد.

وفي الشمال أيضًا مقابل هذا الصراع ضد الاستعمار الصليبي، فقد تقاتل معهم السلطان محمد الطاهر الأول حفيد ابن فودي ١٩٠٣م، ولكنهم قتلوه ومن معه في المعركة في بلاد غُمْبَيْ أخيرًا. ولقد كان ملوك مدينة كَنْوْ لا يتصابرون مع الإفرنج كلما دخلوا عليهم، بل ينفونهم ويبعدونهم عن المنطقة قبل قتال سنة ١٩٠٣م الذي استشهد فيه أمير المؤمنين محمد الطاهر. ولما قُتل الطاهر القائد البطل، لم يبق ما يفعله المقودون سوى الاستسلام لهؤلاء الجبابرة رغم الأنوف.

وهكذا انهارت نيجيريا جنوبًا وشمالاً طوعًا وكرهًا تحت الاستعمار البريطاني الذي صرّع وكبكب على وجه الإمارة الإسلامية.

۞ سورة المائدة ، الآية ١٠٥.

وأما من يَصِمُ ويتّهم أهل الجنوب بأنهم هم من بسطوا وجوههم للإفرنج لاستعمار نيجيريا، فمن هو صياد الفيران أمام صياد الأسد. فقد استعمر الإفرنج القارة الإفريقية من شواطئ البحر برمّتها، قبل أن يتمكنوا من الوصول إلى داخل كل دولة منها. فهل كان من أهل ميناء أية دولة من اقتدروا على إرجاع سفن الإفرنج من التصافح بموانيئهم عندما جاءوا بالعناد والعتاد، أم كان من أهل داخل أية دولة من اقتدروا على نزع نعال المستعمرين من أقدامهم وضربهم بها على رؤوسهم حينما بدأوا يطأون تلك الأصقاع ؟.

٣. الصراع بين العربية والإنكليزية في نيجيريا في ساحة التثقيف والتعليم

التعليم مفتاح الثقافة، والرفعة، والسعادة، والارتقاء؛ ومن ذلك قوله تعالى: {... يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ... }۞.

وأما عن التعليم في نيجيريا، فللغة العربية قصب السبق على الإنكليزية. وهذا واضح منذ نعومة أظفار الإسلام في هذه

۞ سورة المجادلة ، الآية ١١.

الديار، حيث كان التعليم العربي منوطًا باعتناق الإسلام، وهذا سنة الله على الإسلام من فجر بروزه في كل مكان، وعلى ذلك يسير إلى يوم الخلود، إن شاء الله.

واللغة العربية في بلاد العرب التي لم يسبق أن استعمرها الإفرنج قط مثل السعودية، هي اللغة الرسمية قراءة وكتابة. وفي بعض بلاد العرب التي سبق أن استعمرها الإفرنج مثل لبنان، ومصر، والمغرب، تتداخل لغتهم مع العربية في الوزارة والإدارة. وأما في نيجيريا، وإن كانت دولة استقرت فيها العربية قبل دخول الإنكليزية؛ فإنها لم تكن داخل بلاد العرب، ولم تكن الدراسة العربية فيها قبل هجوم الإنكليزية عليها في المستوى العالي الثقافي مثل ما كانت اليوم. ولما جاءت الإنكليزية، تَيَسَّر لها أن تُسقط العربية من ساحة التثقيف والتعليم، فصارت هي القَبْلِية والبَعْدِية في كل مكان.

بدأت اللغة الإنكليزية جولتها الأولى في جنوب نيجيريا، وفازت فيه زمنًا قبل أن تستقبل الترحيب في الشمال ١٩٠٩م، ولكن مع سيرها مع العربية جنبًا إلى جنب. وكان سيرها مع العربية في الشمال أعمق من سيرها مع العربية في الجنوب. وذلك حسب إشارة هَنْسْ بَيْشَا الذي كان ناظرًا للمدارس الحكومية الشمالية ۞. وأما في الجنوب، فلما نقض الإنكليزيون أيمانهم

۞ راجع الفصل الثاني تحت: المدارس العربية في بلاد هوسا.

بعد توكيدها في المدارس مع أهل الجنوب، تقهقر الأمر إلى إنشاء الجمعيات الإسلامية للاعتناء بالتعليم لأبناء المسلمين في هذه المنطقة.

حدث لأهل الشمال مثل ما حدث في الجنوب من ازدراء علماء الإسلام واللغة العربية في المدارس الحكومية، فتقهقر الأمر أيضًا في الشمال إلى فتح مدرسة الشريعة في مدينة كَنُوْ سنة ١٩٣٠م و١٩٣٤م، فاستقل التعليم العربي من الهمجات الإنكليزية.

الحق أن المسلمين جنوبًا وشمالاً لم يرضوا أن تُوَلّى الحكومة دبرها عن التعليم العربي، وتجعلها أمرًا تاريخيًا ماضيًا، فقد أصرّ المسلمون على إدخال تعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في منهج التعليم النيجيري، كما كان المسيحيون يتعلمون شيئًا من تعاليم دينهم في هذه المدارس في الجنوب، فكانت العربية تخطو خطوة الضعيف الأعرج خلف الإنكليزية في المدارس الحكومية، ولكن مع ذلك، فنصف الرغيف خير من العدم.

وأما التعليم المسيحي في المدارس في نيجيريا في هذه الآونة، فقد كان على قدم التعليم الإسلامي فيها، أو أقلّ من ذلك من أجل أن التعليم المسيحي مادة واحدة، والتعليم الإسلامي مادتان اثنتان، اللغة العربية والدراسات الإسلامية. ويضافر هذا الزعم

وجود المنهج الدراسي العام في ملفّ واحد للدراسة المسيحية والإسلامية، وباختصاص منهج للغة العربية في ملف آخر مع اللغات النيجيرية والإنكليزية.

كانت الكتاتيب أشهر المدارس الإسلامية الابتدائية المعروفة في نيجيريا قبل الاستعمار الإفرنجي، وكانت المتوسطة والثانوية تأخذان مكانهما في دهاليز العلماء قبل الاحتلال. ولما جاءوا بثقافتهم، اقتبس منها المسلمون ما هو خير، فأسّسوا المدارس العربية العصرية على غرار المدارس الحكومية. فبدأت تنتج روّادًا مثقّفين في التعليم العربي الإسلامي، فكانوا يتناطحون مع من يعرفون الإنكليزية فقط في الميادين، خصوصًا إذا كان لهم باع في الإنكليزية جانب ما كان لهم في العربية.

وأما اليوم، فكانت اللغة الإنكليزية هي اللغة الرسمية في نيجيريا، وهي تحاول دفع اللغة العربية إلى الوراء الأبعد، إلا أن علماء الإسلام كانوا يتابعون الأمور بعيونهم حفظًا للغة العربية، ودفاعًا عن الدين الإسلامي.

٤. الصراع بين العربية والإنكليزية في نيجيريا في ساحة الإدارة و السياسة

الإدارة الإسلامية أقدم إدارة تعرفها نيجيريا، لأن الإسلام هو أول ما جاء بحروف الكتابة إلى هذه البقعة قبل الإفرنج. وقد سبق أن عرفنا أن الملك عليّ يَاجِي الكنوي عيّن عبد الرحمن الزيتي قاضيًا، وهو زعيم الوفد الونغراوي الذي حمل الإسلام إلى مدينة كَنُوْ ١٣٤٩م، ومن هنا بدأت الإدارة الإسلامية وظيفتها في نيجيريا، ولم تكن هناك إدراة تعرف القراءة ولا الكتابة قبلها في نيجيريا.

وهكذا سارت تلك الإدارة إلى عهد عثمان بن فودي الذي حوّط الجدار الحجري حول الإدارة الإسلامية في بلاد هوسا. فكان يعامل ملوك هذه البلاد بالسياسة الإسلامية حتى يطيعوا أو يقاتلوا. ودام ذلك حتى هذا القرن في بلاد هوسا، وهو سبب إنشاء مدارس الشريعة بها، ولكن لما انتهى المستعمرون من قضاء أوطارهم في بلاد هوسا بتعليم شعوبها الإنكليزية، نزعوا الكراسي من أدبار علماء العربية المشتغلين بالإدارة والوزارة من قبل، وأتوا بمن يُتقنون الإنكليزية مكانهم، فانقلب الرأس قدمًا.

ذلك، ومع وجود القضاة للشريعة الإسلامية في المنطقة الشمالية في نيجيريا حتى اليوم، فلا يحتل هذا المنصب إلا من يجمع بين العربية والإنكليزية، كي تمكنه كتابة دواوينه باللغة الرسمية للبلاد، فقضى الإنكليز على اللغة العربية بخفية.

٥. الصراع بين العربية والإنكليزية في نيجيريا في ساحة الإذاعة و الإعلام

لم تتمتع نيجيريا بإذاعة راديو حتى سنة ١٩٥١م، وجاء الاقتراح الأول لإنشاء دار الإذاعة في الواحد من أبريل ١٩٥١م. فابتدأت الإذاعة في تُغْوَيْلْ هَوْسْ {Tugwell House} في شارع كَابُلْ بلاغوس، ثم انتقلت إلى مقرها الحالي في إكَوْيي {Ikoyi}من أبريل ١٩٥٧م۞، وكانت هذه الإذاعة تذيع الأخبار والحوادث باللغة الإنكليزية، بالإضافة إلى اللغات المحلية.

ثم فُتح أولى دار التلفزيون في القارة الإفريقية كلها في مدينة إبادن بفضل الزعيم السياسي اليورباوي أوْبَافِيْمِي أوَوْلُوْوَوْ {Ọbafẹmi Awolọwọ} سنة ١٩٥٩م، فكانت هي الأخرى تذيع الحوادث والأخبار الداخلية والخارجية باللغة الإنكليزية

۞ مذكرة قدمها مدير دار الإذاعة في لاغوس في التاريخ ١٩٨١/٦/١٢م، بقلم أغْبَوْ سَوْكُنْبي، ص ٢ تحت عنوان: {Special Memorandum}.

واللغات المحلية، ولم تجد اللغة العربية مكان الاحتلال فيهما إلا بعد الاستقلال.

وفي أوان الاستقلال فتحت دار إذاعة إبادن، وكَادُونَا، وأيْتُوغُو في أقاليم نيجيريا الثلاثة حينذاك، فوجدت اللغة العربية مكانها للاحتلال في الإذاعات النيجيرية تحت ظل الوعظ الصباحي الذي يحتل عشر دقائق من الزمن، وكان من أوائل من قاموا بالوعظ في الراديو في بلاد يوربا المرحوم الحاج مصطفى قاسم أيْكَيْمَادَيْ{Ekemọde}، من أوائل أئمة جماعة أنصار الدين في لاغوس.

وفي عرنين الشهر الأول ١٩٦٢/١/١م فُتح قسم "صوت نيجيريا" في دار إذاعة لاغوس على يد المرحوم الحاج أبي بكر تَفَاوَا بَلَيْوَا {Tafawa Balewa}. فكان اهتمام هذا القسم نشر الأخبار والحوادث الداخلية والخارجية بلغات أربع، هي: الإنكليزية، والفرنسية، والعربية، والهوساوية؛ لمدة تسع ساعات ونصف ساعة صباحًا ومساءً، ووجَّهوا موجة هذا القسم إلى أوروبا، والبحر المتوسط، وشرق إفريقيا، والشرق الأوسط، وإلى غرب إفريقيا، ووسط جنوب إفريقيا۞.

وأما الذي يهمنا من هذا، فهو قسم اللغة العربية الذي يبث الأخبار والبرامج بهذه اللغة العزيزة.

۞ صوت نيجيريا، جدول برامج ١٩٧٧م، من أول الصفحة.

ولهذا القسم العربي جدول لبرامجه، ومن موضوعات هذه البرامج: مجرى الأحداث، وأفريقيا في الأسبوع، ومع المستمعين، والنضال الإفريقي، ومطرب الأسبوع، ومن المتحف الأول والثاني؛ وأكثر هذه البرامج لطلاب اللغة العربية فائدة؛ البرنامج الأول والأخير.

وأما البرنامج الأول: مجرى الأحداث، فهو نشر الأحداث الجارية في نيجيريا بصورة عامة، وتجري فيه مقابلات مع كبار الشخصيات والزوار الأجانب.

وأما البرنامج الأخير: المتحف الثاني، فيحتوي هو على تحف نيجيرية تلقي الضوء على الثقافة العربية في نيجيريا، كما تسلط أضواءً على المؤلفات النيجيرية من كتب الأدب، والفلسفة، والتاريخ وغيرها.

ويبثّ القسمُ هذه البرامج على موجتين قصيرتين طولها ١٩ و٤١ مترًا، من الساعة التاسعة حتى العاشرة صباحًا، ومن السادسة مساءً حتى السابعة، بتوقيت نيجيريا المحلي ❁.

وأما البرامج اليومية، فتختلف باختلاف الأيام، وفي يوم الجمعة مثلاً في جدول برامج ١٩٧٧م نجد فيها قراءة القرآن الكريم وعرض البرامج، والأغاني النيجيرية، وأقوال الصحف، وهدفنا الحرية، والأخبار، والتعليق، والأغاني النيجيرية، ثم الختام ❁❁.

❁ صوت نيجيريا، جدول برامج سنة ١٩٧٩ ص ١٣.

❁❁ المرجع نفسه ، ص ٢٠.

وأما مديرو هذا القسم، فكانوا ممن تخرجوا من بلاد العرب، وتخصصوا في اللغة العربية، وكذلك أعضاء القسم ممن ينشرون الأخبار. ورئيس هذا القسم من الستينات إلى مطلع الثمانينات هو الأستاذ الشيخ نجم الدين بينُويَوْ {Binuyọ}، تخرج في السودان، وله مؤلفات، وأشهرها: الطريقة العصرية في تعليم اللغة العربية، وهو جزءان، كتبه بالعربية والإنكليزية في الستينات۞.

ولقد لعب هذا القسم دورًا فعالاً في إعداد طلاب اللغة العربية في البلاد، وفي تصحيح ألسنتهم. وكان مقصدًا لا يضنُّ على الطلاب، ولا فرق بين العمال في هذا القسم وبين نظرائهم في إذاعات بلاد العرب أو في قسم اللغة العربية بدار الإذاعات الأروبية والأمريكية في الفصاحة.

ويلي هذه الخطة ما تقوم به دار الإذاعات في بلاد هوسا من إدخال التعليم العربي في المستوى الابتدائي في بعض برامجها، وكان أولى دار الإذاعة التي قامت بهذه الوظيفة الجوهرية دار إذاعة كَنُوْ من ١٩٨٦م، ثم اقتدت بها دار إذاعة كَادُونَا وبَوْشِي، كل هذا نافلة جانب ما تقوم به دار إذاعات الشمال من قرع الآذان بالآيات القرآنية المجوّدة من تلاوات المجودين في البلاد.

۞ وكنتُ مع أخي إسماعيل زكريا ممن ساعد الشيخ لبيع كتابه هذا أيام أن كنا في مدرسة عربية في لاغوس في مطلع السبعينات.

وعلى كل حال، فقد وجدت اللغة العربية محل الصراع مع الإنكليزية في الراديو والتلفزيون منذ تأسيسهما في نيجيريا بواسطة الوعظ وفي قسم اللغة العربية بصوت نيجيريا بلاغوس.

وأما وجودها محل الصراع مع الإنكليزية في الجرائد والمجلات في نيجيريا، فميدان لم تتفتح فيه العيون، إلا ما كان منها من كتابة لغة هوسا بالحروف العربية، وما كان منها بنشر الأخبار الإسلامية بالإنكليزية. وإلا ما كانت من البحوث العربية تنشر في أقسام اللغة العربية في الجامعات النيجيرية في النطاق المحلي في الجامعات والكليات التي تتعلم فيها العربية.

٦. الصراع بين العربية والإنكليزية في نيجيريا في ساحة الكتابة والتأليف

للكتابة والتأليف باللغة العربية قدم على الكتابة والتأليف باللغة الإنكليزية في هذه البلاد، غير أن الكتابة بالإنكليزية لما دخلت حاولت محو اللغة العربية من السطور. وما إن دخل الإنكليزيون حتى بدأوا ينشرون الأخبار بالإنكليزية على الجرائد بثقافتهم العريقة، كما كانوا ينشرون البشارات الإنجيلية من مطلع ظهورهم، إذ كانوا قد جاءوا ومعهم آلات الطباعة ينشرون بها

ما شاءوا لمن شاءوا. وقلَّ ما ينشرون المؤلفات الضخمة بالمطبعة النيجيرية في مبدأ الأمر، بل كانوا يرسلون الانتاجات العلمية والثقافية والأدبية النيجيرية كلها سواء أكانوا هم من كتبوها أم كتبها الأدباء النيجيريون إلى أوروبا للطبع، ذلك لعدم نضوج حرفة الطباعة آنئذ في نيجيريا، خصوصًا قبل الاستقلال.

وأما نشاطات طبع الانتاجات العلمية والأدبية العربية في نيجيريا، فكانت دون ما كانت للإنكليزية من النشاطات، إذ كان كل ما دخل نيجيريا من المطبعة الإنكليزية أول الأمر، دخل عن طريق الحكومة مع الاستعمار، وليس للمطابع العربية حظٌ في ذلك في نيجيريا، إلا ما كان في الشمال تحت الحكومة الولائية.

وأما في بلاد يوربا، فليست فيها مطبعة عربية تنتمي إلى الحكومة، بل ينشأها فيها الأفراد الْغُيُرُ على اللغة العربية الموسّعون لإنشائها. ويوجد أمثال هذه المطابع كثيرًا في بلاد يوربا مثل إبادن، ولاغوس، وأبيكوتا، وإلورن، وإجَيْبُو أوْدَيْ، وأوْفا، وأوْشَوْبَوْ، كما توجد نظيراتها في كادونا، وزَاريا، وكَنُوْ، وسَوْكَوْتَوْ، ومَيْدُغُوري وغير هذه المدن في بلاد هوسا.

ولقد نجحت هذه المطابع في نشر مؤلفات بعض علمائنا، إذ لا تزال كلها في المرحلة الطفولية. وأما المؤلفات التي تكون لها قيمة خارج وداخل نيجيريا، فإنها ترسل إلى بلاد العرب، حيث تخرج على أحسن صورة، وأليق طباعة. فيا ليت أغنياء

المسلمين في نيجيريا يهتمون بهذا الأمر، فينشأون المطابع العربية الحديثة التي يخرج ترتيب حروفها عن النطاق اليدوي إلى النطاق الحاسوبي الإلكتروني في البلاد، مثل ما كان للمطابع الإنكليزية في ترتيب حروف الجرائد اليومية. والله نسأل، أن يصرف قلوبهم إلى ذلك حتى يتمكن علماؤنا من نشر إنتاجاتهم، مقابلاً بالإنتاجات الإنكليزية التي لا حصر لها للنشر في آفاق اللغة الإنكليزية داخل البلاد وخارجها.

لولا عدم تمكن الأعرج من القيام، لانبرى في ميدان الرقص والتصفيق. ولولا عدم وجود المطابع العربية المتوافرة في نيجيريا، لشهدت العيون مؤلفات علمائنا في الأسواق.

وأما الآن في القرن الواحد والعشرين، فقد تغيرت الأوضاع وتعددت الآلات الحسونية الإلكترونية، فتيسرت الكتابة على الآلات الكمبيوترونية النقلية وغير النقلية، وتيسرت بأثرها الطباعة، والحمد لله على ذلك.

▪ نيل اللغة الإنكليزية من العربية

الإسلام دين الثقافة والحضارة، ولكن لم تكن تختلج فكرته إلى الاهتمام بهذه الثقافات والحضارات على وجه ما صرفها إليه الغربيون منذ أن كان في المهد صبيًا.

الإسلام دين له دعامتان عظيمتان لا نظير لهما عند الذين تقدموا في الثقافة وفي كل شيء اليوم. ودعامة الإسلام الأولى: القرآن الكريم الحافل لجميع العلوم والفنون والعبر. ودعامته الثانية: الأحاديث التي هي التفسير والتعليق النبوي على القرآن مما شدّت معرفته، وفدّت حجته عن الناس من أمور الدين والدنيا. وكانت كتب الأحاديث دستور العلم والحكم، وكان من هاتين الدعامتين يتفلسف علماء الإسلام، ليُخرجوا منهما للناس ما ينتفعون به من علم، وأدب، وطب، ونظم، وحضارة؛ فتركوا للأنام ما لا تذروه الرياح من الفوائد الجمة.

والمسلمون مع كل هذه الحضارة والثقافة، كانوا أسبق الأمم في بعضها مثل حضارة الخُلُق. وهو الفكر الإسلامي الأصيل الذي لم يكن معروفًا قبل الإسلام، كرأي الإسلام في السياسة، والاقتصاد، والتربية. والأخرى: حضارة البعث، وهي تلك الحضارة التي عرفها العالم قبل الإسلام، ثم خمدت، وأعاد

المسلمون إحياءها، كالجهود التي قدمها المسلمون في الطب، والرياضة، والفلك، والجغرافيا، وغيرها ۞.

والإسلام دين الحضارة، والفكر، والتقدم. فكم مرة التقى الأوربيون بالمسلمين في أسبانيا، وفي صقلية، وفي فلسطين. وكان الأوروبيون قبل هذه اللقاءات يحسبون أنهم أرفع منزلة من المسلمين، ويعتقدون أن المسلمين متأخرون. ولكن ما كادوا يتصلون بهم حتى زالت الغشاوة، وأدركوا أن المسلمين يفوقونهم في الحضارة الفكرية، والحضارة التجريبية بمراحل متعددة. فبدأ الأوروبيون يعبُّون عبًّا مما لدى المسلمين من حضارات وتقدم، وعلى ذلك يقول هَيْأرْنشَوْ{Hearnshows } : " لقد خرج الصليبيون من ديارهم لقتال المسلمين، فإذا هم جلوس عند أقدامهم، يأخذون عنهم أفانين العلم والمعرفة، لقد بهت الأوروبيون أشباه الهمج عندما رأوا حضارة المسلمين التي رجحت حضارتهم رجحانًا، لا تصح معه المقارنة بينهما"۞۞.

كان للمسلمين قصب السبق في الحضارة والثقافة وفي كل شيء قبل الأوروبيين، ولكنهم كانوا يختلفون عن الأوروبيين في جمع الدين مع الدولة، وعزل الدين عن الدولة. والإسلام لا

۞ أحمد شلبي: موسوعة النظم والحضارة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، المجلد الأول ص١٣.

۞۞ المرجع السابق، ص٧.

يعرف عزل الدين عن الدولة، ولا عزل العربية عن الدين، في حين كان الأوروبيون على عكس هذا النهج، قال :

فإن الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمي لمختلف جدًّا

وقال الآخر:

لشتان ما أنوي وينوي بنو أبي جميعًا فما هذان مستويان

هذا هو الأمر الذي أشعل نور التفكير في أذهان الأوروبيين في تطوير العلوم التي أخذوها من العرب وأعرجوها عن النطاق الديني، فارتفعت أصواتهم في الآفاق، فصاروا يصفقون ويرقصون لتسديد آرائهم ولتبلور أفكارهم.

وهذا الذي شتّت ألسنتهم، فكان كل حزب منهم بما لديهم فرحون. هذا الإنكليز، وذاك الفرانسيس، وهذا الألمان، وذلك الطليان، كل بلسان بنيه أفهم، وكل لتقاليد ذويه أسلم. ولقد تفلسف كل منهم فيما يرفعه إلى أعلى درجات، فصار كل منهم يسعى في الاكتشافات، والاختراعات، والاستعمارات؛ الأمر الذي رفعهم على المسرح العالمي، ينظرهم كل منا كنظرنا إلى الشمس، سلطان الكواكب.

في أمس أوروبا، كان رجال الدين يتعاونون مع الملوك والأمراء في قتل العلم ونشر الجهل، لتسهل عليهم قيادة شعوبهم، فحاربت الكنيسة مختلف العلوم، كما حاربت العلماء.

ولما أراد الشعب إنهاض دولتهم، طلبوا الحرية، فعزلوا الدين عن الدولة، فصاروا يتفلسفون في النهضة العلمية حتى وصلوا إلى القمة التي كنا نراهم فيها اليوم ۞.

هذا ما حدث عند الأوروبيين في ماضيهم، وأثر فيهم حتى الآن. وأما نحن المسلمين ـ معاذ الله ـ فلن ندعو إلى عزل الدولة عن الدين، ولا عزل اللغة العربية عن الإسلام، فإن الكل عندنا جسد لا يتقطع، وجزء لا يتجزأ.

أيها القراء لهذه السطور، لنسأل أنفسنا، لماذا كان أهل أوروبا، وأمريكا، مالكي الدنيا ونحن لهم كعبيد؛ ألكون لغتهم هي أفصح لغات في العالم كله، أم لكونهم أبيض لون ؟!... فالجواب في السؤالين بالنفي.

إن الأمم البيضاء في العالم كثيرة، ومنهم العرب، ولغة العرب أفصح لغات العالم. ولكن كان هؤلاء في الدرجة الأولى من حيث الاختراعات والاكتشافات، وليس للعرب حظ في ذلك، إلا ما قامت به العراق قريبًا في حرب الخليج. وأما في نيجيريا مثلاً، فقد وجدنا أفرادًا قاموا باختراعات مدهشة عجيبة متقابلاً للأوروبيين، منها اصطناع الطائرة ۞۞. فقد قام بذلك عدد، منهم من اصطنع طائرة في مدينة مَيْدُوغُري فطارت. كما وجدنا في

۞ المرجع السابق نفسه ، ص ص ٣ / ٦.

۞۞ أعلنت الإعلام النيجيرية عن الطائرة النيجيرية الأخرى يوم الخميس ١٩٩٤/١/٢٧م الموافق ١٤١٤/٨/١٦هـ.

ولاية بَنْدَلْ من اخترع محطة راديو، فيسد دار إذاعات الحكومة في الولاية من حجرته، ويذيع هو ما شاء على محطته. وأمثال ذلك كان يحدث في نيجيريا كثيرًا في بلاد السودان، غير أن حكومتنا الرجعيّة، هي التي تقبر ذكاء هؤلاء بعدم الاهتمام بهم، أو تشجيعها إياهم. فهل كان من العرب من يقومون بأمثال هذه الأشياء في محيطهم حتى يكونوا نظراء متحررين من سلاسل الإفرنج، إلا ليبيا والعراق.

العلوم الثقافية والحضارية كان منبعها مسقط رأس الإسلام، سلّمها المسلمون على أيدي من يعرفون قيمتها وتجربتها - على ما تقدم من القول - فأصبحوا من يهددون العالم بثقافتهم وعتادهم اليوم. وهكذا كانوا يهددون بلاد الإسلام من السعودية وغيرها حتى نيجيريا.

المسلمون في كل مكان اليوم جبناء، وأكثر من لا يعرفون حقوقهم في الأرض. وأعني بالجبناء، لأننا كنا نتقهقر عن كل ما يدفع عجلتنا إلى الأمام، ويزيل ما بعيوننا من القذى. وأعني بأكثر من لا يعرفون حقوقهم على الأرض، لأننا نحن المسلمين أكثر من لا يهتمون بالعهود، ولا نرقب في المواثيق إلاً ولا ذمّة، لا تكون الساعة الواحدة عندنا الواحدة، ولا الأبيض عندنا أبيض، كما كنا نستعين بالأعداء على أنفسنا، مع أننا على إدماج الدين مع الدولة، والعربية مع الإسلام، والشريعة مع القانون.

وكان بين أيدينا الجواهر الدينية والدنيوية، ومع ذلك كله، لم نستطع أن نحرك السواكن، فضلاً عن أن نصرف الجوامد.

عدم عزل الدين عن الدولة قوة لنا، لا يحملنا على عدم القيام بواجبنا، ولا على القيام بالقسط. ونحن أحق بكل شيء من غيرنا وأهله. ولقد أذن لنا الإسلام بالتفكر في خلق الله لا بالتفكر في ذاته تعالى، وهذه لنا نعمة اغتصبها الأوروبيون، فصاروا يجربونها في كل شيء، والمسلمون وقتئذ نيام كالتماسيح على البطون.

هذا مجمل ما جعل الأوروبيين والأميريكيين ينالون من العرب والمسلمين اليوم، وهذا مجمع ما جعلهم يقودون العالم حيث شاءوا، وذلك لتشاغب العرب والمسلمين على أنفسهم، وعدم التفكر في الاختراعات مثل الأوروبيين، واليابانيين لأنفسهم، واتكالهم على اختراعات واصطناعات الأجانب، الأمر الذي انحدر من آسيا الأعلى إلى إفريقيا، وإلى نيجيريا. فعلى من يراقب تزلزل الحمل الذي على رأس الأعرج، أن يهتم أولاً بالنظر إلى الأسفل، ثم الأعلى، قبل التحكيم۞.

في الأمس البعيد والقريب، لم يكن في الصفحات التاريخية أن الإفرنج استعمروا المملكة العربية السعودية، منبع الإسلام

۞ وكان المثل العربي يقول: " كيف يستقيم الظل والعود أعْوَج، وكيف يكون العالم الإسلامي على قوة ووحْدَة والعرب في قدد طرائق.

ومقصد الأنام. وأما اليوم، فقد بدأ الاستعمار فيها عن طريق غير مباشر، تحت الدفاع عن المملكة العربية السعودية من صواريخ صدام حسين البطل العربي العراقي.

وهذا كله من الأسباب الهامة العامة، مما أرغمت العربية تنبطح للغة الإنكليزية في العالم كله، وجعلت تنال منها كل حين، والعرب في العمه ينظرون.

هذا هو المنظر العام لنيل الإنكليزية من العربية في العالم كله.

وأما المنظر الخاص لنيل الإنكليزية من العربية في ديارنا نيجيريا فنلاحظ أنها:

صرعت العربية، وحاولت التغلب عليها في ميدان الدعوة والإرشاد في الجنوب لولا قوله تعالى: {وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرونَ}﴿﴾.

ومع ذلك فقد نالت من الوثنيين الجنوبيين ومن بعض فقراء المسلمين منهم في هذا الميدان، ومن بعض من الشماليين أيضًا في إدخالهم إلى زاوية التبشير، وهذا من جهة الدين والعقيدة. وأما من جهة اتخاذ الإنكليزية كاللغة في هذه الديار، فقلَّ من يغمض عنها عينيه شمالاً وجنوبًا، إلا بعضًا من العلماء الذين كانت لهم كتاتيب في المدن والقرى، أو يقلّ من يعرفون قيمتها في القرى خاصة.

﴿﴾ سورة الصف ، الآية ٨.

وأما نيلها من العربية في الاستعمار، فهذا محل الشاهد للأعمى والبصير، فالعربية في كل مكان اليوم تتنفس من تحت الإنكليزية، وكاد الملك السابق في السعودية {الملك فهد}، يهدي الروح الوحيد الباقي في جوف العرب ولغتهم لأمريكا، حتى تموت العربية يتيمة أو لتيمة تحت الدفاع عن الصدام العراقي۞.

وأما نيلها من العربية في ساحة التعليم في هذه الديار، فللإنكليزية المائة في المائة في هذا الميدان، وللعربية نصف ذلك من أجل الإسلام.

وأما نيلها من العربية في ساحة الإدارة، والوزارة، والسياسة، فليس للعربية في ذلك مرصد، إلا من يدير المدارس العربية الإسلامية في الجنوب، وإلا من يشتغل منصب القضاء الشرعي في الشمال. ولكنه يجعل إنكليزيته فيطرف لسانه، وعربيته في جوف حلقه، وإذا تقيّأ خرجت الكلمة العربية. وكذلك من يشتغل منصبًا حكوميًا عاليًا، وهو عربي اللسان أصلاً، فإنما تراه قد ابتلع عربيته. وأسْوأ ما في ذلك أن يتنكّر بعضهم هذه اللغة وهم من أهلها، وإذا قمت بجنبهم تتكلم بالعربية، انعزلوا عنك، وتركوك قائمًا.

۞ لم يكن في تاريخ المملكة العربية السعودية بعد الفتح الإسلامي المبين أن نبتت فيها كنيسة يتعبد فيها المسيحيون، إذ قد صارت بلاد الخوف لهم. وأما اليوم فلربما تنبت فيها كنائس يتعبد فيها المدافعون للسعودية عن صواريخ العراق، إذ لا بدّ لهم من التعبد وإن لم تكن حقيقة التعبد في نيتهم ويأكلون ويشربون من الخنازير والخمر، مما قد اعتادوا بها في محيطهم في البلاد المقدسة، مما قد حرم الله للمسلمين ورفعه عن جوار الحرمين، ليصيّروا أرض المقدّسة قريبًا أرض المقوسة، ومفتيو الحرمين لا ينتبهون، والعرب لا يشعرون. فياليت المرء يرى بنفسه قفاه !، ولكن هيهات؛ بل يراه له غيره.

وأما نيل الإنكليزية من العربية في نيجيريا في ساحة الإذاعة والإعلام، ففي ذلك فراغ واسع، فقد احتلت الإنكليزية في كل محطة وفي كل برامج ما لا يقل عن الستين في المائة. واللغة المحلية في كل محطة تسدّ الثلاثين في المائة. والعربية في مثل شمال نيجيريا من وعظ، وقراءة القرآن، ونحوهما تسدّ العشرة الباقية. وأما في الجنوب، فربما سدّت الخمسة في المائة، وتذهب الخمسة الباقية جفاء في الزلازل الإنكليزية.

وسماع الكلمة العربية في راديو الجنوب من قبل، كان في طرفي النهار وزلفىً من الليل. لا يتجاوز عشر دقائق للوعظ صباحًا ومساءً. وتزداد مدة ذلك أيام الجمعة خاصة. وأما لما غير الله بيئة المسلمين في الجنوب بوجود من تعلموا اللغة العربية في المناصب العالية، ثم بظهور الأثرياء الكثيرين في أوساط المسلمين في هذه الآونة، بدأوا يشترون الساعات في عدة المحطات للبرامج الإسلامية. فبدأت العربية تتضارب في الآذان عن طريق الوعظ والأغنية شبه العربية الإسلامية التي ينشرها الشباب المسلمين للقضاء على الأغنية المسيحية المنتشرة في البلاد قبلها.

ومن الجدير بالذكر أيضًا ما كان يقوم به أغنياء بلاد يوربا من شراء دقائق من الزمن يستغرق فيها الأذان للصلوات الخمس في المحطات الإذاعية، ويأتي بعد الأذان مباشرة نداء المسلمين

إلى الصلاة بترجمة آية سورة الجمعة إلى لغة يوربا، وهو قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَاةِ... فَاسْعَوْا إِلَىَ ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} ۞ بعد كل أذان. ومنذ أن بدأت إذاعات بلاد يوربا هذه الحركة، بُهت المسيحيون، وجعلوا يقبضون أيديهم على صدورهم حزنًا، لأن ذلك يشعر بأن البلاد قد أصبحت بلاد الإسلام برمتها.

هذا من جانب الأذان، وأما من جانب آخر، فقد قام أثرياء بلاد يوربا - جزاهم الله عن الإسلام خيرًا - بشراء المحطات الإذاعية أيضًا في أسحار رمضان من أجل البرامج الإسلامية فقط في هذه الليالي، فتفتح هذه المحطات بقراءة القرآن الكريم، وتفسيره، والفتاوى، والاستفسارات، وقراءة الأحاديث، وترجماتها؛ وقرع الآذان بالأناشيد الإسلامية بدءًا من الساعة الثالثة أو الثالثة والنصف صباحًا في بعض المحطات، وتنتهي هذه البرامج ببدإ الإذاعات الرسمية للحكومة، وهي الساعة الخامسة والنصف صباحًا.

قل لي يا أخي، كم يهلكه هؤلاء الأثرياء من الأموال لفتح الإذاعات الحكومية لهم في الليل الدجوج، وفي غير وقت الدوام المعتاد ! وقل لي كم يغدقون على الموظَّفين القائمين بهذه الأعمال الشاقة من جانبهم الذين كانوا يتركون ديارهم وعيالهم

۞ سورة الجمعة ، الآية ٩.

في هذا الوقت إلى ديار الإذاعات من أجل المسلمين من بداية رمضان إلى آخره. وإن كان أكثر من يقومون بهذه البرامج حقًا مسلمين متكلم بعضهم بالعربية، ومع ذلك فالعمل شاق للغاية، فجزاهم الله والأثرياء القائمين بهذه الأعمال عن الإسلام والمسلمين خيرًا... آمين.

هذا ما يجري في بلاد يوربا بفضل المسلمين الأثرياء مما لم يحدث في نيجيريا قط قبله، ونرجو أن تقتدي بذلك إذاعات بلاد هوسا لتعمّ الفائدة.

وَلَكَمْ حاول مسيحيو الجنوب إفشال الدعوة السَّحْرية الرمضانية هذه على الإذاعات للمسلمين، فحملوا الحطب في سبيل تقدمها سنة ١٩٩٠م بإثارة فتنة على ذلك بينهم وبين المسلمين، فانتهى الأمر أخيرًا إلى زيادة المحطات للمسلمين لإبلاغ رسالتهم، ومن بعد ذلك جاء الأذان للصلوات الخمس نافلة، فبهت الذي كفر.

هذا ما كان بين العربية والإنكليزية من الصراع في ساحة الإذاعة والإعلام في هذه الديار، وعن قريب إن شاء الله تعالى سيحقق للمسلمين جميع الآمال والأهداف في هذه البلاد.

وأما نيل الإنكليزية من العربية في ميدان الكتابة والتأليف، فتصورنا لذلك أنه إن كان للإنكليزية خمس وستون في المائة، فإنما تكون بقية الدرجة للتأليف في العربية. وقد كان هناك عدد

من علماء الإسلام من ألفوا كتبًا عديدة قيّمة بالعربية في البلاد، والشاهد على ذلك أمثال مؤلفات أبناء فودي وغيرهم كثيرين، مما لم تر النور حتى اليوم، ومما أغلق عليها عدم توفر الطباعة والمهتمين بنشرها. وليس لنا إلا أن نتضرع إلى الله تعالى، ثم إلى أولي الطول من المسلمين لتأسيس المطابع العربية مثل ما نجدها في البلاد العربية، وهم على ذلك قادرون إن شاء الله.